كلية العلوم الإسلامية
جامعة صلاح الدين
قسم التربية الإسلامية
مرحلة (الدبلوم العالي)
٢٠٢٤ - الكورس الثاني

محاضرات
في
الفرق الإسلامية

أ.م.د عمر علي محمد

المادة: الفرق الإسلامية.

المرحلة / الدراسات العليا / الدبلوم / الكورس الثاني

اسم التدريسي: أ.م.د.عمر علي محمد

دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن

الجامعة: صلاح الدين.

الكلية: العلوم الإسلامية.

القسم: التربية الإسلامية.

السنة الدراسية: (٢٠٢٣/٢٠٢٤للميلاد) – (1445 للهجرة)

بسم الله الرحمن الرحيم

كراسة المادة
Course Book

١. اسم المادة	**الفرق الإسلامية**
٢. التدريسي المسؤول	**د. عمر علي محمد**
٣. القسم/ الكلية	**الشريعة/ العلوم الاسلامية**
٤. معلومات الاتصال:	**الايميل: omer. mohamad@su.edu.krd** **رقم الهاتف : 07504522016**
٥. الوحدات الدراسيه (بالساعة) خلال الاسبوع	النظري ساعتان
٦. عدد ساعات العمل	**٨ ساعات**
٧. رمز المادة (course code)	
٨. البروفايل الاكاديمي للتدريسي	بكالوريوس في الدراسات الإسلامية من جامعة السليمانية / كلية العلوم الإنسانية ١٩٩٨م. ماجستير في الدراسات الإسلامية-أكلية الشريعة والدراسات الإسلامية / جامعة صلاح الدين ٢٠٠٣م. دكتوراه فلسفة في (كلية العلوم الإسلامية). جامعة صلاح الدين / أربيل.٢٠١٢م.
٩. المفردات الرئيسية للمادة Keywords	**الفرق الإسلامية، الفكر الإسلامي، الاختلاف، العقيدة الإسلامية، الثوابت والمتغيرات**

١٠. نبذة عامة عن المادة

- يتمثل مضمون هذا الكورس في تعليم الطلاب أساسيات علم الفرق الإسلامية ؛ وذلك بعرض مفهوم و الفرق الإسلامية و المباديء المتعلقة بذلك العلم ، وتؤهله للتفكير والتنظيم والتقعيد العلمي وفق الضوابط العقدية والفكرية، مع الاطلاع على كتب الفرق واختلافاتهم الفكرية و تطبيقاتها.

١١. أهداف المادة:

يهدف هذا الكورس إلى:

– تكوين ملكة فكرية صحيحة وسليمة للطلاب من الناحية الفكرية؛ إذ تتطلع الطلبة فيها إلى فقه التعامل مع الجماعات و الأفكار المتنوعة والمتعددة.

- التمييز بين الفرقة الناجية و الفرق الضالة من حيث التعريفات والتأصيل والصفات والمآلات وما يترتب عليهم.

– تحقيق المقصد الأول من المقاصد الإسلامية الضرورية ، وهي حفظ الدين الإسلامي من جانب الإيجاد من حيث البقاء و التواجد و كذا من جانب المحافظة عليه من التغيير والتحريف .

– العمل من أجل الوصول والبقاء على الصراط المستقيم الجامع للمذاهب والمدارس الصحيحة والابتعاد والمانع للفرق الضالة المضلة بالمعايير وبيان الشروط والأسباب لكلا الفريقين دون إفراط أو تفريط .

١٢. التزامات الطالب:

على الطالب الالتزام بالحضور والمشاركة في المناقشة العلمية خلال المحاضرة، والتحضير، وإتمام الاختبارات وتقديم الواجبات والتقارير العلمية المطلوبة ومقالة المراجعة حسب التعليمات.

١٤. نظام التقييم

- المادة مختارة أي : باختيار الطالب . –وعليها (١٠٠) درجة، ويسعى الطالب للحصول على أكبر قدر منها. والنجاح يكمن في (70٪)، وتتوزع الدرجات حسب تقييم الطالب في الأمور الآتية:

نوع التقييم	الدرجة بالمئة
التقرير	%10
السمينار	%10
الامتحان الموجز	% 10
الامتحان التحريري	% 20
الامتحان النهائي للكورس	% 50
المجموع	% 100

١٥. نتائج تعلم الطالب

- ان الطالب يتعلم الفرق الإسلامية وتعريفها وأصولها وأنواعها وما تترتب عليها من المسائل والأمور الإيمانية والاحكام الشرعية.
- تعريف الطلاب الكيفية الصحيحة لفهم المسائل الاختلافية و كيفية فهم الأمور التي تترتب على الفرق الإسلامية.
- "إن الوقوف على فساد المذاهب قبل الإحاطة بمداركها محال، بل هو رمي في العماية والضلال "كما قاله الإمام الغزالي .
- تحديد مقدمات هذا العلم مع جمع وترتيب ما جاءت به المصادر.

١٦. قائمة المراجع والكتب

المصادر الرئيسة والأساسية لمفردات المادة :

١- أدب الإختلاف في الإسلام : د. طه جابر العلوي :الطبعة الأولى ، ٢٠٠١م

٢- أصول وتاريخ الفرق الاسلامية : مصطفى بن محمد بن مصطفى

٣- البيان (العقيدة الطحاوية في ثوبها الجديد) : الإمام أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي (٢٣٩-٣٢١ هـ) ، مراجعة : د. مصطفى سعيد الخن، ترتيب : علاء الدين آل رشي ،ط/ الثانية، دار المكتبي – دمشق ، ١٩٩م.

٤- بين السنة والشيعة دراسة تاريخية أصولية وفقهية مقارنة د. محمد شريف الصواف دار التقوى ٢٠٠٦م.

٥- التجسيم والمجسمة وحقيقة عقيدة السلف في الصفات الإلهية : عبدالفتاح بن صالح قديش اليافعي مؤسسة الرسالة ٢٠١٠م.

٦- تحقيق مسائل مهمات من علم التوحيد والصفات : الشيخ محمد صالح بن أحمد الغرسي ، الطبعة الأولى ، دار الفتح أسطنبول ٢٠١٣م.

٧- الجداول الجامعة في العلوم النافعة : د. جاسم بن محمد بن مهلل ، مؤسسة الريان ، الطبعة الثالثة ٢٠٢٠م.

٨- دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية : د. عرفان عبدالحميد دار التربية

٩- العقيدة الإسلامية : د. مصطفى سعيد الخن و د. محيي الدين ستو ٢٠١١-٢٠١٢.

١٠- عقيدة الأمام الأشعري (أين هي من عقائد السلف) : الشيخ محمد صالح بن أحمد الغرسي ، الطبعة الثانية ، دار الإرشاد أسطنبول ٢٠١٣م.

١١- الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية : د. عبدالله سلوم السامرائي الطبعة الثالثة دار واسط لندن – بغداد ١٩٨٨م.

١٢- الفرق بين الفرق : الشيخ عبدالقاهر البغدادي

١٣- الفرق والمذاهب في الرسالات الثلاث : (اليهودية والمسيحية والإسلام) : دراسة مقارنة : محمد غالب بركات ، دار الآفاق العربية ، الطبعة الأولى القاهرة ٢٠١١م.

١٤- قراءة في كتب العقائد المذهب الحنبلي نموذجا: حسن بن فرحان المالكي، مركزالدراسات التاريخية ٢٠٠٩م.

١٥- مدخل إلى دراسة الفرق الإسلامية : أ. د عمار الجيدل دار البلاغ – الجزائر

١٦- المذاهب التوحيدية والفلسفات المعاصرة : د. محمد سعيد رمضان البوطي دار الفكر ٢٠١٢

١٧- المرشد المفيد إلى علم التوحيد : د. عمرو توفيق الداعوق ، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.

١٨- مع الاثنى عشرية في الفروع والأصول: أ,د على السالوس الطبعة السابعة دار الثقافة بقطر ٢٠٠٣م.
١٩- المعتزلة وأصول الحكم (سلسلة الإسلام وفلسفة الحكم) : د. محمد عمارة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية بغداد ١٩٨٤م.
٢٠- مفردات ألفاظ القرآن : العلامة راغب الأصفهاني ، تحقيق: صفوان عدنان داودي .
٢١- المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال : حجة الإسلام أبو حامد الغزالي دار الأندلس الطبعة التاسعة ١٩٨٠م.
٢٢- الولاية والإمامة : ناصر سبحاني الطبعة الأولى – مؤسسة برهم ٢٠٠٧م.

مفردات المادة الدراسية (الفرق الإسلامية)	تاريخ المحاضرة (إن شاء الله)
التعارف و الاطلاع على كورس بوك	الأسبوع : ١ ٢٠٢٤/٢/٢٥
(موقع علم الفرق الإسلامية من العلوم الإسلامية و القرآن الكريم) أهداف دراسة علم الفلرق الإسلامية والمحترزات الواردة منها هذه المادة	الأسبوع :٢ ٣/٣
تعريف الفرق الإسلامية والمصطلحات ذات الصلة (الاختلاف ، الفرقة الناجية، الصراط المستقيم ، الطائفية – الحركات ، الملل، النحل)	الأسبوع :٣ ٣/١٠
(الاختلاف الفكري بين المسلمين) وأدب الاختلاف في الإسلام	الاسبوع: ٤ ٣/١٧
حديث افتراق الأمة والفرقة الناجية	الأسبوع :٥ ٣/٢٤
تاريخ نشاة الفرق و نوعيها و تأصيلهما في القرآن والسنة	الأسبوع :٦ ٣/٣١
الفرق الغالية : الخوارج وأسمائهم وألقابهم	الأسبوع :٧ ٤/٧
الشيعة والتشيع وفرقهم	الاسبوع:٨ ٤/١٤
المعتزلة وأصولهم و المرجئة	الأسبوع :٩ ٤/٢١
الجبرية والمجسمةوالقدرية	الأسبوع :١٠ ٤/٢٨
أهل السنة والجماعة (الاشاعرة – الماتريدية)	الأسبوع: ١١ ٥/ ٥
السلفية أم الوهابية أو الظاهرية الجدد	الأسبوع: ١٢ ٥/١٢
الامتحانات النهائية	الاسبوع: ١٣ ٥/١٩

بسم الله الرحمن الرحيم المحاضرة الأولى : يوم التعارف وتحديد الاهداف

المحاضرة الثانية : تاريخ الفرق الإسلامية وأهمية المادة ٣-٣-٢٠٢٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا بوحدانيتك في ذاتك وصفاتك وأفعالك. محمد وعلى آله وصحبه أجمعين اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم ما رفعت منصب المنخفض الجلالك وجبرت بالسكون اليك كسر الجازم :

أما بعد :

فقد بعث الله تعالى محمداً (عليه الصلاة والسلام) برسالته الخاتمة إلى العالمين، فختم به الرسل، وختم برسالته الرسالات فبلغ رسول الله الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، وجمع الكلمة، وبين للناس دين الله القويم، وصراطه المستقيم، فآمن به واتبعه من وفقهم الله تعالى فنالوا سعادة الدارين، وفنّدوا طريقة أهل الضلالة فباءوا بنقاوة الدارين، ومن الأول وإلى يوم القيامة أمة الإسلام متحدة الكلمة، مجتمعة حول الثوابت، راسخة البناء، شرعها كتاب الله وسنة رسوله، وشعارها لا إله إلا الله محمد رسول الله .

ولقد ظلت الأمة المسلمة على عهد رسول الله (عليه السلام) وزمن الصحابة رضوان الله عليهم مجتمعة على كلمة سواء تعتصم بحبل الله من نوازع الأرحام والصلات الإيمانية و التفرق، ودواعي التشتت ، ملتزمة قول الله تعالى : (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) الأنبياء: ٩٢.، محققة قول الله سبحانه في وصفها : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون) آل عمران: ١١٠

ثم ما لبث بعض المسلمين أن اتبعوا سنن من قبلهم، وساروا على درب الأمم التي مضت كما أخبر رسول الله ﷺ (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم) رواه البخاري وغيره،

فتفرقوا واختلفوا بما جاء به الرسل، وأصبحوا شيعًا، كل حزب بما لديهم فرحون، وصدق فيهم قول النبي ﷺ (افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة) رواه أبوداود من حديث أبي هريرة ، السلسلة الصحيحة للألباني /٢٠٣.

وكان هذا التفرق نتيجة عوامل كثيرة نبين بعضاً منها في هذه الدراسة بحول الله تعالى، كما سنبين بعون الله سبحانه أهم الفرق ومبادئ كل فرقه، ونبين مواطن الخطأ والصواب قدر المستطاع

لماذا ندرس أصول وتاريخ الفرق الإسلامية ؟

"وقد يظن البعض أن الحديث عن فرقة بادت - أو كادت ترَفٌ عقليٌ، أو رياضة فكرية، تنبئ عن ملء حيز من الفراغ في الوقت والفكر جميعاً، وقد يذهب هذا البعض مذهباً أكثر إيغالاً في العجب من أولئك أقرب الذين يجهدون أنفسهم في نشر أفكار قد درست، وصحائف قد طويت، وسير قد انقضت، وخاصة والأمر يتعلق بأفكار هى فى الأصح الأغلب دخيلة على الإسلام مقتاتة على منهجه، هدامة لأصوله ثم لفروعه".كما يقوله العلماء.

إن الوقوف على أولئك وقفة يستجلى فيها وجه الحق فيما يبدو إثارته، هو فهم الدافع إلى كتابة او دراسة هذه المادة ، والقيام ببحث من الأبحاث وتبيينه شافياً معين للقارئ والكاتب معاً على الخوض فى الموضوع بقلم لا يتردد في نشر ما وصل إليه الدراسون بالموضوعية، أو إظهار ما خفى، وبعقل واع متفهم لما قد يجده من غرائب ينبو عنها الحس، وبقلب عامر بالرغبة في الوصول إلى الهدف وإحقاق الحق.

إن إعادة الحديث عن مذاهب مضت، وبيان ما فيها من بطلان وإظهار غبارها هو منهج مستمد من كتاب الله تعالى، فلقد قص علينا القرآن الكريم نبأ قوم لوط وقوم صالح وقوم هود، وما كان من غرور بني إسرائيل في دينهم والتوائهم في عقيدتهم، مقارعاً لهم الحجة بالحجة مفندا أباطيلهم بعد ذكرها كما قالوها دون حذف أو تبديل، فالحكم فى هذا الصدد هو الغاية التي يهدف إليها من وراء البيان، إن كانت للاعتبار من أحداثها والحذر من أفكارها فإن في ذلك الفضل كل الفضل، أما إن كانت الأخرى، فهو الفساد وإشاعة الفاحشة لهدم العقول وإماتة القلوب هذه واحدة.

وأن الأفكار لا تموت بموت أصحابها، فالفكر نتاج عقلي إنساني ولئك أقرب في مادته إلى الروح منه إلى الجسد، وحياته أطول أمداً من حياة أصحابه، وبقاؤه مرهون بقوة إشعاعه - حقاً كان أو باطلاً - ثم هي كالجرثومة التي تنتقل عدواها فتصيب الناس بمثل ما أصابت به صاحبها. تلك هي طبيعة الفكر ونتاج العقل، فلا بد من استيعاب تلك الخصيصة التي ثبتت بالاستقراء من خلال تاريخ يبدو الفكر الإنساني عامة.

ثم ثالثة:

وهي أنك إذا تأملت ما تحصل للبشر من أفكار على امتداد الزمان والمكان، فإنك واجد تشابهاً كبيراً فيما بينهم وستعجب من هذا التشابه، وكأنه مستمد بعضه من بعض، ولا شك أن طوائف من تلك الأفكار قد استفادت من بعضها وما ذلك إلا نتيجة استعداد العقل وتوجهاته

الأصلية وقوالبه الفكرية والنفسية والأولية التي ركبها الله فيه، فينتج له مع معطيات التفاعل الاجتماعى والنفسى أفكاراً تتشابه في أصولها إلى حد كبير.

كما أن الرابعة / تظهر ببيان العقائد الفاسدة التي هي من مطالب الدعوة إلى الله تعالى، يقول الدكتور ناصر العقل: " واعلم أن حماية الدين والعقيدة والشريعة الدفاع عنها، وبيان ما يخالفها من مطالب الدعوة إلى الله تعالى، فالدعوة إلى الله تعالى تتضمن غايتين لا تصح الدعوة إلا بهما وهما ركناها :

الركن الأول: تقرير الدين والعقيدة والشريعة وتعلمها وتعليمها ونشرها والعمل بها .

والركن الثاني: حماية الدين والعقيدة والشريعة والدفاع عنها وبيان ما يخالفها، وكل ذلك منهج القرآن وعليه عمل النبي وأصحابه وأئمة السلف وهو اتبع السلف سبيل المؤمنين.

فإن التصدى لأهل البدع والأهواء والافتراق من سنن الهدى، ومن مطالب الدين وغاياته، ومن أبواب الجهاد، وأعلى درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفق غايات الدعوة ومقاصدها .

وكما قال الشيخ بكر أبو زيد -حفظه الله - في "الرد على المخالف من أصول الرسل وهو عنوان كتاب له : أما إنه من أبواب الجهاد ا فعن أنس أن النبي ﷺ قال: (جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم) والجهاد بالقلم فرع من الجهاد باللسان، بل هو أبلغ وأعم فائدة.

ومن هذا المنطلق، وبناء على هذا التصور الشرعي والعقلي الدقيق شرعنا مستعيناً بالله في الكتابة عن الأهواء والافتراق والبدع، ونشأتها وأصولها ومصادرها ورؤوسها ومناهجها وسماتها ومواقف السلف منها، مع الوقوف عند مواطن العبر واستجلاء الفوائد والتركيز على جانب التحذير من مسالك أهل الأهواء عند العرض، وكشف فسادها وزيفها وعوارها، ومع الحرص على عدم التعمق في تفاصيل المقالات والشبهات، إلا عند الضرورة، والاقتصار على الإجمال وبيان الأصول والمناهج والشواهد على جهة العموم بشبهات القوم كما هو منهج العلماء الربانيين من حيث كانوا يعرضون مقولات الأهواء إجمالاً ويردونها تفصيلا .

ولا بد لدارس أحوال الماضين وأوضاع السابقين أن يلم إلماماً واسعاً بذلك الرصيد الذي جمع فأوعى، جمع مآثر الأولين وأخطاءهم، وتلك حصيلة ممتازة وعبرة والنهي عن مستفادة، جديرة بتصحيح مسار الحياة.

ومما يجدر ذكره أن أهم شيء يحث عليه القرآن، ومن أجله أنزل الله الكتب للمخالف وأرسل الرسل وذلك لتصحيح العقائد وتغيير المجتمعات، فلهذا كان الإلحاح في القرآن لينظر الناس إلى سنن الذين خلوا من قبل وهى التى على أساسها ترتفع وتنخفض المجتمعات، وعلى أساسها يكافئ الله ويعاقب، وعلى البشر أن يتفهموا هذه السن أول حفة حتى ينالوا رحمة الله ويتعدوا عن انتقامه ... وفى هذا يقول تعالى وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين) .

خامساً / كما أن من أهمية دراسة هذه المادة :

هذه الدراسة ظاهرها دراسة الماضي، ومراجعة لتاريخ الفرق المبتدعة الذين جنوا على ماضى الأمم، أيضا هى دراسة حاضرة من حيث إنها تكشف جذور البلاء الذى شتت قوى الأمم وفرقتهم شيعا، وجعلت بأسهم بينهم شديد، فكل فرقة ظهرت قامت مبادئها على كثير من المنكرات، ومع ذلك تدعى أنها هي المحقة وأن غيرها على الضلال.

الجهل بدراسة هذه الفرق إنما يؤدى إلى انتشار أفكار لم يعرف الناس مصدرها، ويرددون أقوال وعبارات هي في الأصل مقتبسة من هذه الفرق، فمثلاً تجد من يكفر المجتمعات الإسلامية، وما هي إلا أفكار ومعتقدات الخوارج ... إلخ .

ويذكر علماء الفرق أنه عندما يريد شخص معرفة ظهور فرقة من الفرق على وجه التحديد، فإن ذلك من غير اليسير الوصول إليه والجزم به دون تخمين أو شك، وذلك لأن الفرقة لا تستحق هذا الاسم إلا بعد مرورها بمراحل متعددة، تبدأ فكرة صغيرة فردية أو جماعية، ثم تتكون شيئًا فشيئًا إلى أن تصبح فرقة ذات منهج مميز لها عقائدياً أو سياسيا أو اجتماعيا، والتخطيط لقيام الفرقة قد تطول مدته وقد تقصر، حسبما يتهيأ لها من الظروف والعوامل المساعدة لقيامها .

الخلاف سنة في الأمم، والعبرة بمن يتمسك بالحق، وقد ظهرت الفرق والمذاهب بين أتباع سيدنا موسى - عليه السلام - وقد تشعبت اليهود إلى أكثر من فرقة منذ عهد موسى - عليه السلام –

يقول تعالى : (وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنتي عشرة أَسْبَاطًا أَمَمًا وأوحينا إلى موسى إذ استسقاء قومه أن اضرب بعصاكَ الْحَجَر فَانبَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ علم كل أناس مشربهم وظلنا عليهم الغمام وأنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رقاكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون). وترجع هذه الفرق إلى أنهم تشعبت الـ كانوا من اثني عشر رجلاً من بني إسرائيل من أولاد يعقوب، فقطعهم الله فرقا وهذه الفرق لم تبقى على هذا العدد، بل زادت عن بعض سورة الأنعام : ١٥٣ وتعددت كما أخبر بذلك النبي محمد ﷺ . وميز بعضهم عن بعض، وهذه الفرق لم تبقى على هذا العدد، بل زادت وتعددت كما اخبر بذلك النبي محمد .

ملاحظة / أبناء يعقوب من زوجاته هم رأوبين وشمعون ولاوى، ويهوذا، ويساكر، وربولون سبيله وجاد، وأشير، ويوسف، وبنيامين ودانا، ونفتالى .. وهؤلاء هم أسباط بنى إسرائيل الإثنى عشر. - راجع التفسير الكبير للرازي ٨ ٣٥ ٤- سورة البقرة: ٥٨

كذلك ظهرت الفرق والمذاهب أيضا بين أتباع المسيح - عليه السلام - وقد تشعبت المذاهب وتعددت الرؤى، وكانت كلها تنصب على محاولة الإجابة على طبيعة العلاقة بين الله

والمسيح، أو بين الآب والابن، وفي مرحلة تالية الإجابة على ماهية طبيعة العلاقة بين الآب والابن والروح القدس.

ومن المقرر في تاريخ المسيحية بالبداهة أن التثليث بالشكل الذي عليه الآن لم يعلن للناس دفعة واحدة، بل في أزمان متفاوتة مختلفة، فانعقدت المجامع بسبب الاختلافات، وإنك لترى ذلك واضحا فيما كان من موقف آريوس" عندما ظهر مقاوما لفكرة الوهية المسيح ومنازعا كنيسة الإسكندرية.

ولأجل ذلك حذر الله تعالى المسلمين من التفرق في آيات كثيرة من القرآن الكريم،

يقول تعالى : (وأن هذا صراطي مستقيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَفَرَّقَ بِكُمْ عَن ، وربولون سيله ذلكم وصاكم به لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ). سورة آل عمران: ١٠

ويقول تعالى : (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جميعا ولا تفرقوا ...).

وقد نبه النبي محمد الأمة، جاء ذلك في حديث العرباض بن سارية الذي هو قول النبي - ﷺ - : فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة .

وقد أخبر الرسول – عليه الصلاة والسلام - بافتراق الأمم السابقة، وأن أمته ستفترق أيضاً ذلك من ومع ذلك فقد بين أن من بين تلك الفرق هناك فرقة واحدة على الحق وقد سماها الفرقة الناجية، وما عداها باطل، تجد ذلك في حديث أبي هريرة أن رسول الله قال : تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، أو اثنتين وسبعين فرقة فرقة . . وفي رواية عبد والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين

وقال: قال رسول الله ﷺ: ليأتين على أمتى ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمة علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك. وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة. قال من هي يا رسول الله؟ قال : ما أنا عليه وأصحابي .

فاليهود تفرقت إلى إحدى وسبعين فرقة، ثم افترقت النصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة، ثم افترقت أمة الإسلام إلى ثلاث وسبعين فرقة، وكل الفرق سواء عند اليهود أو النصارى أو المسلمين لابد وأن تجد من بينها من هو على الحق علم ذلك من علمه وجهله من جهله، وقد أكد على ذلك الرسول الكريم في سنن ابن ماجه ، من حديث عوف بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ :

تفرقت اليهود على إحدى وَسَبْعِينَ فِرْقَةِ فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى . تيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فَإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثلاث وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَتَتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ . قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ الجَمَاعَةُ .

وللعلماء في هذا العدد وجهتا نظر :

الأولى: أن المقصود بالعدد هو : التكثير، حيث إن مفهوم العدد مطرح، فليست الفرق محدودة أو محصورة بثلاث وسبعين، وإنما المقصود التكثير، وهو أن النصاري اختلفوا أكثر من اليهود، والأمة الإسلامية ستفترق أكثر من النصارى فالعدد لا مفهوم له، وإنما المقصود مجرد التكثير، وقالوا : لو نظرنا إلى الفرق لوجدنا أن فرق الرافضة تزيد عن سبعين فرقة، والخوارج تزيد عن أربعين أو خمسين فرقة، ثم ظهرت الصوفية، وظهرت الطرق، وفي العصر الحديث ظهرت

فرق لم تكن موجودة من قبل، كالقاديانية، والبهائية، وإلى الآن توجد وتظهر فرق، وكلها تنتمى إلى الإسلام. إذا المقصود من العدد هو التكثير لا الحصر .

الوجهة الثانية : قال بعضهم: إن العدد مقصود ولكن الثلاث والسبعين بأن فرقة فرقة هي الأصول، وعليه فنستطيع أن نأتى بأصل الفرق، فنقول: الشيعة واحدة ونحصر من الثلاث والسبعين، وكل ما تفرع عنها فهو فرع لها ولا يعد أصلاً، وكذلك في الفرقة الخوارج هي أصل أيضا، وكل ما تفرع عنها لا يعد فرقة مستقلة، وإنما هو ضمن الفرق الـ أصلها، ويكون الرقم (٧٣) بمعنى المنهج والأصل العام الذي تتشعب منه فرق

- ورد في قوله تعالى: (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٨٠] استغفر (يا محمد) لهم أو لا تستغفر لهم، تغيير له في الاستغفار وتركه، قال : إني خيرت فاخترت يعنى الاستغفار رواه البخارى وإن تستغفر لهم سبعين مرة مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ) قيل المراد بالسبعين المبالغة فى كثرة الاستغفار وفى البخارى حديث "لو أعلم أني لو زدت على السبعين غفر لزدت عليها وقيل المراد العدد المخصوص لحديثه أيضا " وسأريد على السبعين. والسبع والسبعة من العدد معروف، يقال: سبع نسوة وسبعة رجال والسبعون معروف، وهو العقد الذي بين الستين والثمانين. وفي الحديث: أوتيت السبع المثاني، وفي رواية: سبعا من المثاني. وفي الحديث : "إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم سبعين مرة . وقد تكرر ذكر السبعة والسبع والسبعين والسبعمائة في القرآن وفي الحديث، والعرب تضعها موضع التضعيف والتكثير كقوله تعالى : (كمثل حبة أثبتت سبع سنابل) ، وكقوله تعالى: (إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وكقوله : الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة، والعرب تضع التسبيع موضع التضعيف وإن جاوز السبع، والأصل قول الله عز وجل : .... كمثل حبة أتبعت سبع سنابل في كُلِّ سنبلة مالة حبة ...) [البقرة: ٢٦١] ثم قال النبي : الحسنة بعشر إلى سبعمائة . قال الأزهري: وأرى قول الله عز وجل

لنبيه : إن تستغفر لهم سبعين مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ ، من باب التكثير والتضعيف لا من باب حصر العدد، ولم يرد الله عز وجل أنه، عليه السلام، إن زاد على السبعين غفر لهم، ولكن المعنى إن استكثرت من الدعاء والاستغفار للمنافقين لم يغفر الله لهم. (انظر : لسان العرب لابن منظور، مادة غفر، ومادة: سبع).

معه كثير من المؤلفين بان فرقة معينة هى من الثلاث والسبعين فرقة، أو نطبق هذا الرقم على فرق معينة ويوضح الدكتور أن نحزم ونحصرها، فقد أخطأ الشهرستاني في الملل والنحل وأخطأ. في الغرف، عندما طابق ما ورد ذكره في الحديث من ثلاث وسبعين فرقة على الفرق التي عرفها، وقال: الفرقة الأولى كذا، والفرقة الثانية كذا ... حتى أكمل الثلاث والسبعين فرقة، فماذا نقول عن الفرق التي ظهرت فيما بعد؟!

سادسا / إن لكل فرقة أساسا منهجيا تتفق عليه طوائفها، وترجع إليه أصولها وقواعدها، ومن خالف فيه خرج عن انتسابه لها ومن لم ينطبق عليه لم يدخل رَ اللهُ لَهُمْ فيها. فمثلا كل من قال بالأصول الخمسة فهو معتزلى، وكل من قال أن الإنسان مجبور على أفعاله فهو جبرى، وكل من قال إن الإيمان هو المعرفة أو التصديق فهو مرجئ، وكل من قال بالكلام النفسى والكسب فهو أشعري.. إلى آخر ما هو معروف. وهذا ضابط منهجي يحدد به الباحث الفرقة والانتماء إليها.

سابعاً/ وأيضا تدور هذه الدراسة حول حديث رسول الله ﷺ:

" افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، فواحدة في الجنة وسبعون في النَّارِ، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثِنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فرقة، فإِحْدَى وَسَبْعون في النار ووَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَالَّذِي نَفْسُ محمد بيده لتفتقرن أمتى على ثلاث وسبعين قيلَ يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ هم؟ . قَالَ: الْجَمَاعَةُ ". (رواه ابن ماجه وغيره واللفظ له، وقد خرجه الألباني في الأحاديث الصحيحة)

وقد قسمنا الدراسة إلى معالم ومفردات رئيسة ليسهل تناول كل فرقة على حدة وفق منهج علمي دقيق، فاحتوت الدراسة على: مدخل للدراسة، حيث بينت أهمية دراسة الفرق، وأن الجهل بدراسة هذه الفرق إنما يؤدى إلى انتشار أفكار لم يعرف الناس مصدرها، وبينت أن الخلاف سنة في الأمم، والعبرة بمن يتمسك بالحق. ثم كان الحديث عن بداية تفرق اليهود، ثم افتراق النصارى وانعقاد المجامع، ثم إخبار النبي - - - بافتراق أمته كما كان حال اليهود والنصارى

ثامنا: وترجع أهمية الدراسة إلى ندرة البحوث والدراسات التي جمعت الفرق والمذاهب جميعا في كتاب واحد، وحسب علم الباحث لا يوجد كتاب يضم بين دفتيه معظم الفرق اليهودية والمسيحية والإسلامية قبل هذه الدراسة، والله أعلم.

علماً لا يستطاع إستجماع كل الفرق الخاصة بالديانة اليهودية بان يكون عند والمسيحية والإسلامية كاملة؛ لأن النبي - - - قد بين منذ ما يزيد عن ١٤٠٠ عام أن عدد الفرق اليهودية (٧١) فرقة، وأن الفرق المسيحية (٧٢) فرقة، وأن الفرق الإسلامية (٧٣) فرقة، اندثر منها ما اندثر وبقى

منها ما بقى، وما بقى من الفرق اليهودية بطول الزمن واختلاف الحاخامات، وكذلك الفرق المسيحية ازدادت بطول الزمن وكثرة المجامعو الفرق إلى فرق أخرى، وهكذا فازداد عدد وعلى نفس النهج سارت الفرق الإسلامية.

تاسعا: وفي هذه الدراسة حاولت - قدر الإمكان - أن يكون التركيز على اسم الفرقة ومؤسسها، ومعتقداتها، من فرق الأمة الإسلامية وإعادة أفكارها إلى الفرق السابقة لأهل الكتاب، وكان التركيز على مدى تمسك كل فرقة بالنص القرآني، وما اعتقاد كل فرقة في النبي . - وصحابته، وما موقف كل فرقة من الخلافة أو الإمامة .

والمنهج المستخدم في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي، والذي يعتمد على الوصف والتحليل والمقارنة الارتباطية بهدف وصف ما هو كائن، وتفسيره من خلال إلقاء الضوء على المشكلة المراد بحثها (الفرق)، والفهم الوثيق لظروفها الحاضرة، وجمع المعلومات التي تزيد من توضيح الظروف المحيطة بكل فرقة.

عاشرا : يعتبر البحث في مجال الفرق الإسلامية (علم مقالات الإسلاميين) من أعقد ميادين البحث في العلوم الإسلامية، وتكمن صعوبته في قلة وجود مصادر الفرق الإسلامية في مجال دراسة الفرق ومقالاتها، و ما وجد منها يفتقد إلى التحرر من الرؤية المدرسية في دراسة الفرق، إضافة إلى خلط هذا العلم بعلم الكلام، وزاد الأمر شناعة وتعقيدا ببعد الطلبة في أقسام الفلسفة والعقائد والأديان عن الاهتمام بمثل هذه التخصصات، خاصة وقد وجد بيننا باحثون زهدوا الطلبة - ومازالوا - في الاهتمام بمثل هذه العلوم، معللين ذلك بعدة أسباب لا مسوغ لها في حقيقة الأمر، ولعل من أهم من تعلقوا به الأمور الآتية:

١ - بحثها إحياء للبدع :

وهو رأي في غاية التلبيس، ذلك أن الأفكار المعروضة ليست أفكار المبتدعة فحسب، بل فيها الرد مما يساهم في صناعة وعي الطلبة بما حولهم من أحداث بناء على توظيف الصالح منها وتجاوز الطالح.

٢ - لا مسوغ لها لانتفاء وجود الفرق حاليا :

ولا شك أن مثل هذا الحكم يبين بشكل واضح أن قائله لا يعيش المشهد الثقافي بشكل جيد، قد يعود إلى عطل أصاب آليات الاستقطاب في فكره أو خلل في إدراكه للمشهد بجميع مكوناته.

٣ - الصورة الصحيحة للدين قد اكتملت:

من مقتضيات هذا الطرح أن الصورة النهائية للإسلام قد حددت، وبالتالي كل محاولة لإعادة مناقشة الأفكار السابقة محاولة عابثة، ومرد كل ذلك أن الصورة النهائية (المقدسة) - التي

هي من مدركات العقول - هي الحكم والميزان الذي يحتكم إليه، نعم قد تكون صحيحة في كلياتها، ولكنها ليست معصومة في جزئياتها وفروعها موضوعا ومنهجا ليتسنى لنا جعلها محكا في القبول والرفض، من هذا المنطلق تصبح دراسة آراء هذه الفرقة أو تلك ضرورية بغرض تمحيصها، ثم استثمارها في التفاعل مع المعطى الثقافي والسياسي والحضاري.

٤ - دراسة الفرق ستكون سببا في تعميق الهوة بين المسلمين:

الفكرة قد تكون صحيحة بالنظر إلى غايات الدارسين لا بالنظر إلى دراسة هذا العلم، بمعنى أن هذا العلم - كغيره من العلوم - لا يتعلق المدح والذم به، بل يتعلق أساسا بالمقاصد التي يتوخاها الدارس في أصل توجهه إلى هذا العلم، لهذا إذا كانت غايتنا محمودة فيكون عملنا في هذا العلم أو غيره محمودا والعكس بالعكس أيضا.

إن دراسة هذا العلم إن تحررت من التوظيف السياسي والتعصب . وفق الجهد البشري - أمكن أن يحقق نتائج طيبة بإذن الله، بشرط أن يكون الانتساب الإيماني مقصدا ومنطلقا في التأليف، وبهذا الصدد قد يقول الباحث المتحرر من القيم الإسلامية، وما دخل هذه المسألة في البحث العلمي؟

يعلم الرساليون من المسلمين أن البحث الموضوعي تكليف شرعي قبل أن يكون مطلبا أكاديميا، وضياع التقوى في مضمونها المعرفي كان سببا في وقوع تجاوزات في نقد المخالفين، ذلك أن المسلمين يعيشون التقوى في مضامينها الاجتماعية، ولكنهم قليلا ما ينتبهون إلى مضامينها المعرفية، وقد يكون لهذا الخلل ما يبرره من الناحية النفسية...)، ورغم ذلك تحب الحيطة معرفيا واجتماعيا.

وتلافيا لما سبق، اخترنا المدخل في دراسة علم الفرق الإسلامية توخيت بهذا الكتاب خدمة مجموعة من الأهداف:

١ - خدمة طلبة العلوم الإسلامية عموما، وطلبة العقيدة ومقارنة الأديان على الخصوص، وتجلت تلك الخدمة فيما يأتي:

ا - دراسة أصل المصطلحات التي يبنى عليها هذا الفن.

ب - تحديد مقدمات هذا العلم - لهذا سميناه مدخلا

ج - جمع وترتيب ما جادت به المصادر التي ليست في متناول الطلبة.

د - تجاوز القراءة الإقصائية المؤسسة على الرؤية المدرسة، أو على الأقل التنبيه إليها.

هـ - استثمار الخبرة الثقافية الإسلامية العامة بصرف النظر عن المدرسة التي أنتجتها.

و - بيان مواطن الرؤية الحضارية الإسلامية المستفادة من أصل الدين وتمثلاتها في حاضرنا ومستقبلنا ووفق ما جادت به خبرات الفرق الإسلامية.

٢ - إسعاف طلبة أقسام الفلسفة والمهتمين بالفكر الإسلامي عموما، خاصة وقد كان كثير منهم يستفسرعن مثل هذه القضايا، مثل عدم القدرة على التمييز بين المذهب في موارد الاجتهاد والدين القطعي الذي عجبه يكون الولاء والبراء

٣ - المساهمة في التكوين النقدي لدى طلبة الجامعة الجزائرية.

٤ - الإسهام في حركة التأليف في العلوم الإسلامية، وخاصة في أصول الدين.

٥ - بيان أهمية هذا العلم في صناعة وعينا بماضينا الثقافي، وأثر كل ذلك في تطوير وعينا بالمشهد الثقافي والحضاري الراهن.

٦ - التنبيه إلى موارد استثمارها في التأسيس للرؤية النقدية المعاصرة في دراسة هذا الفن وغيره من فنون العلوم الإسلامية.....

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه أجمعين....

المحاضرة الثالثة ٢٠٢٤/٣/٣

عاشرا : يعتبر البحث في مجال الفرق الإسلامية (علم مقالات الإسلاميين) من أعقد ميادين البحث في العلوم الإسلامية، وتكمن صعوبته في قلة وجود مصادر الفرق الإسلامية في مجال دراسة الفرق ومقالاتها، و ما وجد منها يفتقد إلى التحرر من الرؤية الدراسية في دراسة الفرق، إضافة إلى خلط هذا العلم بعلم الكلام، وزاد الأمر شناعة وتعقيدا ببعد الطلبة في أقسام الفلسفة والعقائد والأديان عن الاهتمام بمثل هذه التخصصات خاصة.

وقد وجد بيننا (باحثون) زهّدوا الطلبة - ومازالوا - في الاهتمام بمثل هذه العلوم، معللين ذلك بعدة أسباب لا مسوغ لها في حقيقة الأمر، ولعل من أهم من تعلقوا به والأجوبة عليها الأمور الآتية:

١ - بحثها إحياء للبدع :

وهو رأي في غاية التلبيس، ذلك أن الأفكار المعروضة ليست أفكار المبتدعة فحسب، بل فيها الرد مما يساهم في صناعة وعي الطلبة بما حولهم من أحداث بناء على توظيف الصالح منها وتجاوز الطالح.

٢ - لا مسوغ لها لانتفاء وجود الفرق حاليا :

ولا شك أن مثل هذا الحكم يبين بشكل واضح أن قائله لا يعيش المشهد الثقافي بشكل جيد، قد يعود إلى عطل أصاب آليات الاستقطاب في فكره أو خلل في إدراكه للمشهد بجميع مكوناته.

٣ - الصورة الصحيحة للدين قد اكتملت:

من مقتضيات هذا الطرح أن الصورة النهائية للإسلام قد حددت، وبالتالي كل محاولة لإعادة مناقشة الأفكار السابقة محاولة عابثة، ومرد كل ذلك أن الصورة النهائية (المقدسة) - التي هي من مدركات العقول - هي الحكم والميزان الذي يحتكم إليه، نعم قد تكون صحيحة في كلياتها، ولكنها ليست معصومة في جزئياتها وفروعها موضوعا ومنهجا ليتسنى لنا جعلها محكا في القبول والرفض، من هذا المنطلق تصبح دراسة آراء هذه الفرقة أو تلك ضرورية بغرض تمحيصها، ثم استثمارها في التفاعل مع المعطى الثقافي والسياسي والحضاري.

٤ - دراسة الفرق ستكون سببا في تعميق الهوة بين المسلمين:

الفكرة قد تكون صحيحة بالنظر إلى غايات الدارسين لا بالنظر إلى دراسة هذا العلم، بمعنى أن هذا العلم - كغيره من العلوم - لا يتعلق المدح والذم به، بل يتعلق أساسا بالمقاصد التي يتوخاها الدارس في أصل توجهه إلى هذا العلم، لهذا إذا كانت غايتنا محمودة فيكون عملنا في هذا العلم أو غيره محمودا والعكس بالعكس أيضا.

إن دراسة هذا العلم إن تحررت من التوظيف السياسي والتعصب . وفق الجهد البشري - أمكن أن يحقق نتائج طيبة بإذن الله، بشرط أن يكون الانتساب الإيماني مقصدا ومنطلقا في التأليف،

وبهذا الصدد قد يقول الباحث المتحرر من القيم الإسلامية، وما دخل هذه المسألة في البحث العلمي؟

يعلم الرساليون من المسلمين أن البحث الموضوعي تكليف شرعي قبل أن يكون مطلبا أكاديميا، وضياع التقوى في مضمونها المعرفي كان سببا في وقوع تجاوزات في نقد المخالفين، ذلك أن المسلمين يعيشون التقوى في مضامينها الاجتماعية، ولكنهم قليلا ما ينتبهون إلى مضامينها المعرفية، وقد يكون لهذا الخلل ما يبرره من الناحية النفسية...)، ورغم ذلك تحب الحيطة معرفيا واجتماعيا.

وتلافيا لما سبق، اخترنا المدخل في دراسة علم الفرق الإسلامية توخيت بهذا الكتاب خدمة مجموعة من الأهداف:

١ - خدمة طلبة العلوم الإسلامية عموما، وطلبة العقيدة ومقارنة الأديان على الخصوص، وتجلت تلك الخدمة فيما يأتي:

ا - دراسة أصل المصطلحات التي يبنى عليها هذا الفن.

ب - تحديد مقدمات هذا العلم - لهذا سميناه مدخلا

ج - جمع وترتيب ما جادت به المصادر التي ليست في متناول الطلبة.

د - تجاوز القراءة الإقصائية المؤسسة على الرؤية المدرسة، أو على الأقل التنبيه إليها.

هـ - استثمار الخبرة الثقافية الإسلامية العامة بصرف النظر عن المدرسة التي أنتجتها.

و - بيان مواطن الرؤية الحضارية الإسلامية المستفادة من أصل الدين وتمثلاتها في حاضرنا ومستقبلنا ووفق ما جادت به خبرات الفرق الإسلامية.

٢ - إسعاف طلبة أقسام الفلسفة والمهتمين بالفكر الإسلامي عموما، خاصة وقد كان كثير منهم يستفسرعن مثل هذه القضايا، مثل عدم القدرة على التمييز بين المذهب في موارد الاجتهاد والدين القطعي الذي عجبه يكون الولاء والبراء

٣ - المساهمة في التكوين النقدي لدى طلبة الجامعة الجزائرية.

٤ - الإسهام في حركة التأليف في العلوم الإسلامية، وخاصة في أصول الدين.

٥ - بيان أهمية هذا العلم في صناعة وعينا بماضينا الثقافي، وأثر كل ذلك في تطوير وعينا بالمشهد الثقافي والحضاري الراهن.

٦ - التنبيه إلى موارد استثمارها في التأسيس للرؤية النقدية المعاصرة في دراسة هذا الفن وغيره من فنون العلوم الإسلامية.... وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه أجمعين...
٣-٣-٢٠٢٤

الغايات الدراسية في علم الفرق وفوائده :

تتنوع غايات دراسة هذا العلم وفوائده بتنوع زوايا معالجة موضوعه، وإن كانت الغاية المركزية متعلقة تعلقا مباشرا بما يتوخى منه لى نماز ولتحقيق هذه الغاية عملت على تذليل الصعوبات بالعرض التفصيلي لمجموع الغايات:

١ - الغاية الوظيفية:

تقرير الأسس المعرفية التي تبنى عليها الأصالة الحضارية للأمة يقتضي تخلية العقول والقلوب وتنقيتها من المعرفة الدخيلة، وهذا يفرض الخوض في المشاكل المعرفية المعاصرة، التي لأغلبها - كما هو معلوم . أصل ثقافي سابق، كان لسلفنا شرف الرد عليه وبحثه بشكل يثير الإعجاب والنخوة للدفاع عن ميراثنا الثقافي بتوظيف تلك الردود.

إن من أهم ما يقتضى المطارحة الموضوعية التمييز بين الأصيل والدخيل في المسألة الثقافية والحضارية ودراسة علم الفرق الإسلامية كما هو بين من مقدمتنا يخدم هذا القصد ويساهم بشكل واضح في تمييز الأصيل من الدخيل كما يسهم في الفصل بين الديني المستمر البقاء عن الزمنى الوقتي المرحلي ورفض التسلط والسلبية والاستبداد، فنتج تلك المواقف السلم والأمن والتضامن الاجتماعي، والذي سيمتع الأمة بآثاره السلوكية والسياسية والاجتماعية والثقافي ما يحققه؟ ماه ما هو هذا ما يحققه الدين الإسلامي، فهل يحقق غيره عشر معشار . مشروع التنمية الذي يدافع عنه المدافعون عن التراث الفلكلوري والعادات لهذا الدين.

فعال عميلة يعلم الباحث الموضوعي أنه لا صلة له بمشروع التنمية، فما سبب اهتمامهم به؟ والتقاليد المخالفة للدين...؟

لعل الأمر يعود إلى المواقف المستترة بالدين والمتدثرة بدثار البحث الموضوعي الأكاديمي وهو منهم بريء.

لهذا ولغيره نرى أن موقفهم أملته إما الدراسة غير الإسلامية للإسلام، وبعبارة أدق والقرآن و الدراسة غير الموضوعية للإسلام (لأن الموضوع يفرض مصطلحاته ومعاييره في التحليل ومنهجه في التعامل مع حقائقه، بل ويعتبر موقفهم هذا . في أحسن المبادئ و الأحوال - دراسة لادينية للدين الإسلامي، وهو ما يفقدها الموضوعية المنتظرة، للعبادة وبالتالي يفقدها التوازن في إصدار الأحكام العلمية والتقويمية.

يمكن أن يطله أو يصوبه البحث الثقافي المعرفي الجديد والمتجدد عالم مثاله بحث مسألة أصالة مذهب المعتزلة، وقد قيل فيه ما قيل، فهل نبقى مكتوفى الأيدى مسلمين بما قاله كل سابق ؟، أم أننا يجب أن ندلي بدلونا لعلنا نظفر بموقف جديد يجمع بين آراء سابقة ؟ أو يتبنى وجهة نظر.

٢ - الغاية المعرفية التفصيلية:

دراسة علم الفرق بمنهج موضوعي مؤسس على تقوى الله، سيفضي في الغالب الأعم بصاحبه إلى المعرفة الحقيقية لأسباب الاختلاف بغرض توقيها، والكشف عن دواعي الخلاف التي يتشبث به بعض علماء الفرق، لخص تلك الأسباب الإمام الشاطبي، فيما يأتي:

أ - مسألة أدوات الفهم:

الجهل بأدوات الفهم الصحيح للنصوص الإسلامية بصفة إجمالية، والقرآن والسنة المطهرة على وجه الخصوص.

ب - مسألة مقاصد الشريعة

الجهل بمقاصد الشريعة، والذي يفضى بصاحبه إلى اعتبار ما لا يعتبر عند الشارع أو عدم الأخذ بما . هو معتبر قطعا عند الشارع الحكيم.

ج - الموقف من العقل:

الإفراط في تقديس العقل وربط القبول والرفض به، أو التفريط في العقل بوصم كل ما ارتبط به من مسائل أو قضايا بعدم الدينية.

د - تمكن الهوى

يجر الباحث بدافع من الهوى إلى نتائج محسومة سلفا، سيق إليها، سوقا بدافع من الأنانية والانتصار للنفس على حساب البحث العلمي الموضوعي.

هـ - استبداد الحكام:

يضاف إلى ما سلف استبداد الحكام، فكثيرا ما يفرض هذا العامل وغيره تنكب الموضوعية في دراسة الفرق، كما يفضي إلى التأسيس لفرق على غير أصولها وقواعدها المعتبرة، وهو عمل ينم عن قلة التقوى وضيق أفق، لهذا لا يقدم عليه إلا من فقد مسكة عقل أو ذرة تقوى وصلاح. تبرز هذه الأسباب من خلال الفرق نفسها، كما يمكن من اكتشاف عناصر جديدة شبيهة بها بالفحص والتدقيق في الفرق نفسها، ولعل أبرز مثال عليها مناقشة فكرة عزو آراء الإسماعيلية إلى سوء استعمال أدوات الفهم أو إهمال المعتبر منها، فهل ننسج على منوالها؟ أم أننا سنتخذ موقفا مغايرا؟

والسر في كل عملنا هو التساؤل المنهجي الموضوعي أكثر من المطالبة بالجواب الصحيح.

٣ - معرفة أدوات الفهم:

إدراك أسباب الجهل بأدوات الفهم ينبني أساسا على الإحاطة بتلك الأدوات إحاطة تسمح بتقويم درجة انضباط الفرق بها وكشف علة عدم الانضباط.

ولعل أبرز مظاهر التعامل المعوج معها، استعمال التأويل في غير محلك وتوظيفه بطريقة يبطل معها النص القطعي الثبوت والدلالة، لهذا فمعرفة أدوات الفهم تسمح بتقويم تلك الآراء ومحاكمتها إلى الأدوات الصحيحة من حيث هي، أما من الناحية المستقبلية فإنه سيؤدي إلى العمل الدؤوب على الانضباط بأدوات الفهم الصحيح في التعامل مع المنزل وإسقاطه على ما يلائمه من النوازل باستنباط الحل من النص مباشرة أو بوسائط معتبرة عند الشارع الحكيم (١).

تورث دراسة الفرق الإسلامية المعرفة العملية لأدوات الفهم في جميع الفرق الإسلامية، وسيمكن التعامل الموضوعي معها من معرفة مسالك كل فرقة أولا، وتقويمها موضوعيا ثانيا، والتمرس على مختلف أدوات الفهم ثالثا.

٤ - معرفة مقاصد الشريعة:

الحكم على الشيء جزء من تصوّره، لهذا لا يتسنى الحكم على درجة انضباط فرقة أو أخرى بالمقاصد إلا إذا عرفنا المقاصد المعتبرة عند الشارع،

وبهذا يمكن معرفة أسباب إهمالها أو الجهل بها لدى الفرق حين التعامل مع النص أو أحداث الزمان، كما يفيدنا هذا العلم بالعمل على تلافي الوقوع في مطبات، ويسمح كل ذلك بسد الطريق على كل متصيد فيها أو بها في الحاضر والمستقبل.

وأوضح مثال على ذلك قول البعض أن تساؤل المعتزلة والفلاسفة عن مسائل الذات والصفات أو ما يقرب منها مخالف لمقاصد الشارع. ذكر الشاطبي في مقام بيان قصد الشارع في وضع الشريعة للإفهام ما يستشف منه تجاوز هذا المقصد في الفرق الإسلامية وأثر كل ذلك على نشأة الفرق وتطورها، يظهر ذلك جليا في المسألة الرابعة من النوع الثاني، حيث ورد تحت عنوان "ما تقرر من أمية الشريعة وأنها جارية على مذاهب أهلها": «أن تكون التكاليف الاعتقادية والعملية مما يسع الأمي تعقلها، ليسعه الدخول تحت حكمها" وبعد العرض التفصيلي لمبررات ما ذهب إليه، قال: "وعلى هذا فالتعمق في البحث فيها (الإلهية) وتطلب ما لا يشترك فيه الجمهور في فهمه، خروج عن مقتضى وضع الشريعة الأمية، فإنه ربما جمحت النفس إلى طلب ما لا يطلب منها، فوقعت في ظلمة لا انفكاك لها منها، ... ومن طباع النفوس إلى ما لم تكلف به نشأت الفرق كلها أو أكثرها .[١]

---

[١] الموافقات / الشاطبي ٢/٨٩، ٧٩

٥ - معرفة دور العقل:

شاع في بعض الفرق الإسلامية الإفراط في العقل كما شاع في شطر آخر التفريط فيه، لهذا يجب العمل على معرفة دور العقل في الإسلام، لأنه بمثابة المعرفة الحاسمة لدور العقل في التعامل مع النص المتيقن من صحته عقلا وتعتبر هذه المعرفة بمثابة الأمصال التي تحقن في جسم المتعلم المسلم فتتدرب قواه الدفاعية (العقلية) على الأجسام الغريبة لتقوى على مواجهتها نفسيا وثقافيا وفكريا واجتماعيا في قابل الأيام.

ما يمثل ولعل أبرز ما . به في الأشاعرة في العقل، وفي مغالاة فريق أخر ضد العقل، والتخاذ موقف هذا السياق ما قيل في مغالاة المعتزلة ومحققي موضوعي من الفريقين (بما يسمح من القراءة الوظيفية في قابل الأيام)، وهذا يفرض قراءة المدرستين والحكم الصادر في حقهما ثم المقارنة والترجيح.

٦ - معرفة حقيقة الهوى

تعود بعض الآراء المبثوثة في أوساط هذه الفرقة أو تلك إلى تمكن الهوى من أولى السلطان فيها، فما سبب تمكنه من قلوبهم؟

ذكر في الجواب عن السؤال عدة أقوال الفصل بينها يستدعي تحليلا دقيقا لهذه الظاهرة البشرية والتنقيب عن أسباب تسربها إليهم، ولعل من أبرز ما قيل، إرجاعه إلى قلة التقوى أو غيابها كليا، أو حصر التقوى في المسائل الاجتماعية الشخصية وإبعادها عن ميادين العلم والبحث العلمي بل وكل ميادين الفعل الإنساني، فلا صلة لها لدى الكثير بالمسألة الفكرية أوالسياسية أو الثقافية.

ستمكن هذه المعرفة من تقويم اعوجاجنا والتعامل الواقعي مع هذه الظاهرة بما يسمح بمنع استفحالها والحيلولة دون آثارها المدمرة.

٧- معرفة أثر الاستبداد في صناعة الأفكار:

الكشف عن أسباب استئثار الحكام بخيرات الأمة، سواء بطريق مباشر أو بطريق غير مباشرة، مثل إشاعة وتشجيع الاستقالة من الحياة السياسية والفكرية، إما بصناعة فكرة تشجع على ذلك أو استعمال أساليب الترغيب أو الترهيب (وقد عزيت آراء بعض الفرق الكلامية إلى بعض السلاطين أو الدول) (قيل بأن الجبر صنعه بني أمية).

كما يسمح بالمعرفة الدقيقة بأسباب استخفاف الحكام بنخبهم وأثره في صناعة الرأي أو الرأي المضاد (محنة خلق القرآن). يرجع استبداد السلاطين من خلال تحليله الأولي في الغالب الأعم إلى سلبية الشعوب الناجم عن سلبية نخبها المثقفة في كل زمان ومكان ... لأن القرآن الكريم أسند

وظيفة التوضيح السياسية، والفكرية، والاقتصادية والاجتماعية، ...) لأهل الذكر قال تعالى: ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) (النحل (٤٣)

وأسند إليهم أيضا وظيفة التوجيه والإرشاد، قال تعالى: ﴿ ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) (التوبة (٢٢١)، ولاشك أنه إذا كان التوضيح غامضا الخوف من سلطان، فإنه سيفضي إلى تمكن الغموض والانحراف من الأمة، فتصبح سلبية بسلبية تلك الطبقة.

كما يمكن أن ترجع إلى عمالة تلك النخب أو وقوعها في شراك الدنيا التي سلطها عليهم الحكام، ترغيبا حينا وترهيبا حينا آخر.

لهذا لنا أن نتساءل هل يمكن تصحيح القول بإرجاع آراء بعض الفرق إلى الخضوع للحكم المستبد أو الرغبة في مخالفته ؟ لأنه كما كان للاستبداد دور في صناعة رأي، فقد كان له دور في صناعة الرأي المخالف من منطلق مخالفة السلطان وإن كان على صواب، المسألة تستدعي تحليلا ضافيا، يكفينا في هذا المقام الإشارة إلى التساؤل المنهجي والموضوعي، فلو لم تحقق إلا تمكين التساؤل الوظيفي المنهجي لكان كافيا.

٨ - اكتشاف الحدود الفاصلة بين الدين والخبرة المعرفية الإسلامية:

ترجع كثير من خصومات الفرق الإسلامية إلى عدم التمييز بين الدين والخبرة المعرفية الإسلامية، ولا طريق أمامنا لتجاوز هذه المشكلة غير الكشف عن الحدود الفاصلة بين الدين والخبرات الدينية في مجال المصادر المعتبرة بهدف تجاوز الخلط المقصود حينا وغير المقصود حينا آخر، لأن النص القطعي الثبوت والدلالة تخضع له الأعناق ضرورة، أما ما سوى ذلك فإنه لا يتعدى دائرة الاجتهاد، وما كان هذا شأنه فإنه وإن كان مؤثرا من جهة الالتزام فإنه دون تلك المرتبة من جهة إلزام الآخر بما حواه. إننا نعلم يقينا أن الضرورات العملية تفرض اختيار رأي من الآراء الاجتهادية الصحيحة، أي نحن ملزمون من منظور الإكراهات الواقعية بالالتزام برأي من تلك الآراء، ولكننا نعلم في الوقت نفسه أن ما معنا من الأدلة دون إمكان إلزام الآخر بما حواه، لهذا فإنه وإن كان ضروريا للالتزام فإنه دون القدرة على الإلزام.

١- القطعي الثبوت والدلالة ٢ - الظني الثبوت أو الدلالة

الضروري للالتزام = القطعي + الظني

١ - ضروري للإلزام والالتزام ٢ - غير ضروري للإلزام وضروري للالتزام

إن فقد الظني بكليته مفض إلى فقد القطعي نفسه، لأنه لا يتصور التزام بأحكام الدين إذا ما أبعدنا الظني بالكلية، وهو أشبه بما نقل عن الإمام الشاطبي فيما قاله عن الصلة بين التحسيني والحاجي من جهة وصلة الحاجي بالضروري من جهة أخرى، وفقد سجل أن فقد التحسيني مؤثر في فقد الحاجي، وفقد الحاجي بكليته مؤثر على فقد الضروري.

قال الشاطبي: إن كل واحدة من هذه المراتب لما كانت مختلفة.

في تأكد الاعتبار - فالضرورات اكدها ثم تليها الحاجيات والتحسينات - وكان مرتبطا بعضها ببعض، كان في إبطال الأخف جرأة على ما هو أكد منه، ومدخل للإخلال به، فصار الأخف كأنه حمى للآكد، والرائع حول الحمى يوشك أن يقع فيه، فالمخل بما هو مكمل كالمخل بالمكمل من هذا الوجه وورد عنه في مقام آخر: فالمتجرئ على الأخف بالإخلال به معرّض للتجرؤ على ما سواه، فكذلك المتحرى على الإخلال بها التحسينات والحاجيات) يتجرا على الضروريات، إذا قد يكون في إبطال الكمالات بإطلاق إبطال للضرورات بوجه م.

٩- النزعة الوظيفية للتفريق بين الدين والخبرات في العلوم الشرعية

تعد معرفة الحدود الفاصلة يبن الدين والخبرة المعرفية في العلوم الشرعية حال تمكن التقوى بمضمونها المعرفي أهم الموانع من استعمال الفاظ التبديع والتفسيق والتضليل والتكفير، وما شاكل ذلك من الأحكام، وهو مدعاة للتقارب وفق أسس موضوعية تبتعد عن التأليف بمسلكين أحدهما للاستهلاك المحلي بين أفراد المذهب وثانيهما للتصدير (الآخر)، يبتعد فيه عن الوصف الحقيقي للمذهب، مما يسهم في فهم غير صحيح لتلك المذاهب.

لعل من أبرز من عبّر عن الحدود الفاصلة بين الدين والخبرات المعرفية الإسلامية ابن تيمية ، حيث قال: والذي نختاره أن لا نكفر أحدا من أهل القبلة، والدليل عليه نقول: المسائل التي اختلف أهل القبلة فيها، مثل أن الله تعالى عالم بالعلم أو بالذات؟ وأنه هل هو مرئي أم لا؟ لا يخلو إما أن تتوقف صحة الدين على معرفة الحق فيها أولا تتوقف؟ والأول باطل إذ لو كانت معرفة هذه الأصول من الدين لكان من الواجب على النبي ﷺ أن يطالبهم بهذه المسائل، ويبحث عن كيفية اعتقادهم فيها، فلما لم يطالبهم بهذه المسائل بل ما جرى حديث في هذه المسائل في زمانه ال ولا في زمان الصحابة والتابعين ، علمنا أنه لا تتوقف صحة إسلام على معرفة هذه الأصول، وإذا كان كذلك لم يكن الخطأ في هذه المسائل قادحا في حقيقة الإسلام وذلك يقتضي الامتناع عن تكفير أهل القبلة».

١٠ - معرفة صيرورة الخبرات المعرفية الإسلامية:

دراسة علم الفرق الإسلامية يمكن الدارس من المعرفة الدقيقة لسير الخبرات الإسلامية ومراحل تطورها إلى أن بلغت منزلة متقدمة من الازدهار، ولعل من أبرز ما يستثمر منها معرفة أثر السابق في اللاحق سواء في المدرسة الواحدة أو تأثيرها في غيرها، كما يمكن الانتفاع منه في جل الجهود النقدية في العمل التقويمي الجديد أو المتجدد ، طبعا في إطار بحثنا الذي نحن بصدده.

لبيان حقيقة المسألة اقتصرت على أنموذج تتجلى فيه ملاحظاتنا الآنفة الذكر، خذ مثلا بحث صلة المعتزلة بالشيعة؟ هل أثرت الشيعة في المعتزلة؟ أم هل أثرت.

١١ - المساهمة في التصحيح:

تناقلت المصادر الإسلامية في علم الفرق الإسلامية معارف تكاد تجمع المصادر على نقلها رغم عدم صحة نسبتها لمن نسبت له، لهذا فمهمتنا صعبة جدا تقتضي العمل على التصحيح بطريقة موضوعية تتوخى الدليل الصحيح والمتجاوب مع المعطى الزمني.

ينبغي في موضوعات هذا شأنها أن نتلمس الموضوعية باقتفاء آثار كل ما من شأنه المساهمة في التصحيح، وتتأكد هذه الملاحظة لتعلقها بهذا العلم المشوب بالذات الثقافية للمؤلف الذي ليس باستطاعته التنزه منه سواء في جانبها التأصيلي أو جانبها النقدي.

تستدعي الموضوعية في هذا المجال التركيز على تصحيح الأخطاء والتنبية إلى التجاوزات الفكرية والتاريخية والمذهبية التي وردت في مجموع ما ورد في المصادر المدرسية .

١٢ - التنبيه إلى محتوى الدراسات الاستشراقية:

اهتم المستشرقون بدراسة الفرق الإسلامية من زاويتي المنهج والموضوع، فذهب بعضهم إلى مناصرة فرقة على حساب أخرى ومال آخر إلى نقيض ذلك الرأي، .... وهكذا دواليك، وفحص مختلف تلك الآراء وتحليلها تحليلا موضوعيا، يسمح بفهم خبرات أسلافنا فهما صحيحا بطريقة مباشرة تلغي كل الوسائط غير الأمينة أو المشبوهة.

ناصر بعض المستشرقين الشيعة على حساب السنة، وأيد فريق آخر عكس ذلك تماما، فهل نبقى مكتوفي الأيدي مشلولي الإرادة أمام هذه الآراء المتضاربة؟ أم أننا ملزمون من الناحية الشرعية والحضارية والموضوعية بتحليل تلك الآراء وبيان الصواب منها، أو على الأقل اكتشاف مناهج دراستهم لتلك الفرق والمعارف، إما بغرض استثمارها أو بيان زيفها.

لعل من أوضح ما يمثل به في هذا السياق، ما ذكره أحد الفلاسفة الفرنسيين في أحد كتبه مناصرة للشيعة، حيث قال: «إن مثال الفلسفة النبوية الذي أشرنا إلى خطوطه العريضة في بداية كتابنا، جعلنا نستشف المعنى الذي تحسن نسبته إلى ذلك الواقع الذي يجعل أن الانطلاقة الفكرية الكبرى نشأت عبر التشيع الإسلامي.

١٣ - المساهمة في إيجاد وعي حضاري:

يمثل غياب الوعي الحضاري عاملا ميسراً لجعل البيئة الإسلامية مرتعا سهلا ومريحا للأفكار المناهضة لمصالح الأمة، ولعل من أهم أسباب شيوع هذا الداء العضال بين أفراد الأمة وخاصة المثقفين منهم، عدم فهم المرحلة بجميع مكوناتها من موانع ومغريات و...) وهيمنة الذات المذهبية على الصغير والكبير من الأفكار دون تمييز بين ضروري وحاجي وتحسيني، وقد تعد من أهم أسبابه هيمنة الرؤية المذهبية على حساب الدين نفسه، وهو عمل يعرض الدين نفسه إلى الزوال جراء سوء فعال هؤلاء أو أولئك.

١٤ - إشباع الفضول:

لو خير الإنسان السوي الطبع، بصرف النظر عن ثقافته ودينه، بين العلم بفكرة وجهلها، لاختار العلم، ذلك أن الإنسان فضولي بطبعه، وعلم الفرق الإسلامية مشبع لفضول الإنسان العاقل فضلا عن الباحث الرسالي الذي لموضوع البحث صلة وثيقة بمهمته الرسالية.

إن علما هذا شأنه سيشبع فينا فضولا عظيما سيكون دافعا لكسب معارف جديدة وفق نظرة وظيفية لهذا العلم.

هذه بعض الغايات والفوائد المرجوة من تدريس علم الفرق الإسلامية، والتي لا تتحقق إلا إذا توفر في الباحث شرط أساسي يتمثل في الجدية والصبر، بغرض الفهم الجيد لأقوال تلك الفرق قبل إصدار الأحكام عليها، ويمثل هذا الشرط روح الموضوعية التي يتلمسها كل باحث عاقل وجاد، لأنه الواسطة الرئيسة للتساؤل الهادف عن غايات تلك الأقوال وطبيعة مسالك استدلالها.

المحاضرة الخامسة

مفهوم الفرقة و الألفاظ ذات الصلة بها ٢٠-رمضان-١٤٤٥

١- الفرقة :

الفرقة (الافتراق) : (اشتقاقات" ف. ر.ق" = ٧٤) و (تفرق)= ٦ مرات في القرآن الكريم [٢]

ومنه (الفرقة) وهي الجماعة المتفردة من الناس، و(التفريق) هو" تشتيت الشمل والكلمة".[٣] ومنه قوله تعالى : (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات) آل عمران/ ١٠٥.

٢- الاختلاف :

الخلاف (الاختلاف) : (اشتقاقات "خ.ل.ف" = ١٢٠) والاختلاف = ٧ مرات في القرآن الكريم [٤]

وهو " أن يأخذ كل واحد طريقاً غير طريق الآخر في حاله أو قوله". [٥]. والخلاف أعم من الضدِّ، لأن كل ضدين مختلفان، وليس كلّ مختلفين ضدين".ومنه قوله تعالى : (فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم) . الجاثية/ ١٧.

٣- الهوى :

الهوى (الأهواء) : (اشتقاقات " هـ. و. ى" = ٣٨) والهوى = ٤ مرات في القرآن الكريم [٦]

وهو " ميل النفس إلى الشهوة، ولئن اتبعت أهوائهم". وإنما جمع لأن لكل واحد منهم هوىً غير هوى الآخر، ثمّ هوى كل واحد لا يتناهى". [٧] ومن قوله تعالى : (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه، وأضله الله على علم) الجاثية/ ٢٣.

٤- البِدع :

البدع في الرأي من الجمع والانفراد بالرأي:(اشتقاقات" ب.د.ع " = ٢) و البدع (مرة واحدة) في القرآن الكريم [٨]

" إيراد قولٍ لم يستنّ قائلها وفاعلها فيه، بصاحب الشريعة وأمثالها المتقدمة و أمثالها المتقدمة و أحوالها وأصولها المتقنة". [٩]

---

[٢] فهرس ألفاظ القرآن الكريم : ٦٤١
[٣] مفردات راغب الأصفهاني : ٦٣٢
[٤] فهرس ألفاظ القرآن الكريم : ٣٠٥
[٥] مفردات راغب الأصفهاني : ٢٩٥.
[٦] فهرس ألفاظ القرآن الكريم : ٨٤٩
[٧] مفردات راغب الأصفهاني : ٨٤٩
[٨] فهرس ألفاظ القرآن الكريم : ١٤٧
[٩] مفردات راغب الأصفهاني : ١١١

٥- الفِصل :

الفصل (الانفصال) والفصيلة: (اشتقاقات " ف. ص. ل" = ٤٣) و(فصيلة) مرة واحدة في القرآن الكريم [١٠]

وهو " إبانة أحد الشيئين من الآخر حتى يكون بينهما فُرجة، ومنه (الفصيلة) وفصيلة الرجل : عشيرته المنفصلة عنه ، قال تعالى : (وفصيلته التي تؤيه) المعارج/ ١٣ . [١١]

٦- الملأ :

الملأ (الإمتلاء) : (اشتقاقات " م. ل. ء" = ٤٠ ورود) و (في القرآن الكريم [١٢]

جماعة يجتمعون على رأي ، فيملئون العيون رؤيا و منظراً [١٣]، قال تعالى : (إن الملأ يأتمرون بك) القصص/٢٠، وقوله تعالى : (إلى فرعون وملئه فاستكبروا وكانوا قوما عالين) المؤمنون/٤٦.

٧- النِحَل :

النحل (الانتحال) : (اشتقاقات " ن. ح. ل" = اثنان ، وورد فقط (نِحلة ، النَحل) في القرآن الكريم [١٤]، هو " إدعاء الشيء وتناوله " . [١٥]

٨- الضد :

الضد (التضاد والأضداد) : (اشتقاقات "ض.د.د " = مرة واحدة) وفي القرآن الكريم ورد فقط (ضدّا) [١٦] كما في قوله تعالى : (كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدّا). مريم / ٨٢.

٩- الحِزب :

الحزب (الأحزاب) : (اشتقاقات " ح. ز.ب" = ٢١ مرة) و (الحزب) سبع مرات و(الأحزاب) احدى عشرة في القرآن الكريم [١٧] وذلك بإيراده نكرة و مفردا ومثنىً وجمعا كما في قوله تعالى : (ومن يتول الله ورسوله والذين ءامنوا فإن حزب الله هم الغالبون) المائدة/٥٦، وقوله : (استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان) المجادلة/١٩ ، وقوله : (ثمّ بعثناهم لنعلم أي الحزبين

---

[١٠] فهرس ألفاظ القرآن الكريم : ٦٤٥
[١١] مفردات راغب الأصفهاني : ٦٣٨.
[١٢] فهرس ألفاظ القرآن الكريم :
[١٣] مفردات راغب الأصفهاني : ٧٧٦
[١٤] فهرس ألفاظ القرآن الكريم : ٨٠٣
[١٥] مفردات راغب الأصفهاني : ٧٩٥
[١٦] فهرس ألفاظ القرآن الكريم :
[١٧] فهرس ألفاظ القرآن الكريم : ٢٥٣

أحصى لما لبثوا أمداً) الكهف/ ١٢ ، وقوله : (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده) هود/ ١٧، وقوله : (ومن الأحزاب من يُنكر بعضه) الرعد/ ٣٦.

١٠- الطائفة

الطائفة : (اشتقاقات " ط.و.ف " = ٢٧ مرة) و(الطائفة) ورد عشرون مرة في القرآن الكريم [١٨]

ومنه قوله تعالى : (فلولا نفر من كل فرقة طائفة منهم ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم) التوبة /١٢٢، وقوله تعالى : (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) الحجرات/٩ ، وكذلك قوله تعالى : (فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم..) الصف/١٤.

١١- المِلل :

الملة والملل : (اشتقاقات " م.ل.ل " = ١٥ مرة) وورد في القرآن (ملة) عشرمرات في القرآن الكريم [١٩]

فالملة كالدين ، وهو اسم لما شرع الله تعالى لعباده على لسان الأنبياء ليتوصّلوا إلى جوار الله، والفرق بين الملة والدين : أن الملة لا تضاف إلا إلى النبي الذي تسند إليه، فلا يقال ملة الله بل دين الله [٢٠]، ومنه قوله تعالى : (لنخرجنّكم من أرضنا او لتعودون في ملتنا) إبراهيم / ١٣، وقوله : (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) البقرة/١٢٠ ، وقوله تعالى : (قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفا) النساء/ ١٢٥.

١٢- الجماعة :

الجماعة : (اشتقاقات " ج.م.ع " = ١١٩مرة) وقد ورد في القرآن الكريم (الجمْع)و (جمَع) و(الجمعان) [٢١]ومنه قوله تعالى : (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون) آل عمران/ ١٧٣ وقوله : (قالوا ما أغنى عنكم جمعُكم وما كنتم تستكبرون) الأعراف/٤٨. وقوله : (وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين) آل عمران/١١٩.
الجمع ضم الشيء بتقريب بعضه من بعض ، ومنه قوله تعالى : (وإذا كانوا معه على أمر جامع) النور / ٦٢ أي : أمر له خطرٌ يجتمع الناس، فكأنّ الأمر نفسه جمعهم ، وكذا قوله تعالى : (فأجمعوا أمركم وشركاءكم) يونس/ ٧١ ".[٢٢].

---

[١٨] فهرس ألفاظ القرآن الكريم : 547.
[١٩] فهرس ألفاظ القرآن الكريم : ٧٩٠
[٢٠] مفردات راغب الأصفهاني : ٧٧٢.
[٢١] فهرس ألفاظ القرآن الكريم : ٢٢٤
[٢٢] مفردات راغب الأصفهاني : ٢٠٣.

مفهوم الفرقة في الإسلام (الشريعة الإسلامية)

الفرقة:

لغة تدل غالباً على الاختلاف والافتراق، قال ابن منظور: (الفرقة : مصدر الافتراق ... وفارق الشيء مفارقة ، وفراقا : باينه والاسم : الفرقة، وتفارق القوم : فارق بعضهم بعضاً، وفارق فلان امرأته مفارقة: باينها ، والفرق والفرقة والفريق: الطائفة من الشيء المتفرق ، والفرقة : طائفة من الناس، والفريق أكثر منه). [٢٣]

أما من حيث الاصطلاح فالفرقة تعني كل طائفة من الناس دعيت إلى معتقد معين [٢٤] ، بحيث عرفت به وتميزت عن غيرها.

يمكن القول إن تعريف العلماء المصطلح (الفرقة) له علاقة بالمغزى الاعتقادي هذه للطائفة المتعينة، ويبدوا أن ابن حزم أكثر دقة من غيره عندما فرق بين مصطلح (الفرقة) الذي يشمل المسلمين وغيرهم ، وبين مصطلح (النحلة) إذ أنه استعمل المصطلح الأخير للدلالة على فرق المسلمين[٢٥] تبع الشهرستاني ابن حزم في استعمال هذا المصطلح للتفريق أيضاً بين المسلمين وغيرهم، فسمى كتابه (الملل والنحل).

الفرقة في القرآن الكريم :

١- الافتراق، قال تعالى : (وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَكُمْ وَأَغْرَقْنَا ءالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ) البقرة، وقد سمي القرآن فرقاناً لأنه يفصل بين الحق والباطل ، قال تعالى : (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ، لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) (الفرقان).
٢- وقد يأتي الفرق بمعنى الفصل بين الشيئين، وعليه يدل قوله تعالى: (وقرانا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلنه تنزيلا). الإسراء.

إلا أن المعنى الذي يهمنا هو أن القرآن الكريم أشار إلى الافتراق الحاصل سواء كان ذلك في الأمم السابقة أو في هذه الأمة ، كما في قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ فَرقوا دينهم وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ منهم في شَىء إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُم يَنْبَئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) (الأنعام) .

---

[٢٣] لسان العرب ، مادة فرق : ١٠/٣٠٠ .
[٢٤] ينظر : ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل : ٢/٢٦٣ : ابن الجوزي ، تلبيس إبليس : ص ٢٨
[٢٥] مجيد خلف ، ابن حزم الأندلسي ومنهجه في دراسة العقائد والفرق الإسلامية : ص ١٠٩ .

٢/ الفرقة في السنة النبوية :

إن الأحاديث الواردة في التحذير من الاختلاف والافتراق الحاصل في هذه الأمة أحاديث كثيرة لا يمكن أن تحيط بها ، وإنما تحتاج إلى بحث مستقل ، ولكننا سنتناول هذا ما له علاقة مباشرة بالموضوع الذي نحن بصدده.

ورد المصطلح في الحديث المسمى بـ (حديث الافتراق) ، وعنه قال عبد القادر البغدادي في هذا الخصوص ((قد علم أصحاب المقالات أنه صلى الله عليه وسلم لم يرد بالفرق المذمومة المختلفين في فروع الفقه من أبواب الحلال والحرام ، وإنما قصد بالذم من خالف أهل الحق في اصول التوحيد وفي تقدير الخير والشر، وفي شروط النبوة والرسالة وفي موالاة الصحابة ، وما جرى مجرى هذه الأبواب : لأن المختلفين فيها قد كفر بعضهم بعضاً، بخلاف النوع الأول فإنهم اختلفوا فيه من غير تكفير ولا تفسيق للمخالف فيه، فيرجع تأويل الحديث في افتراق الأمة إلى هذا النوع من الاختلاف))[٢٦] (٤) ، وهذا الرأي يعضد بأن مفهوم (الفرقة) المعنيُ هنا : الاختلاف العقائدي وليس الاختلاف في باب الفروع.

٣/ (الفرقة) عند كتاب الملل والنحل:

لقد بدأت المؤلفات حول موضوع الفرق والمقالات منذ وقت مبكر في تاريخ المسلمين نظراً لأهمية الموضوع، وكثرة هذه الفرق والمقالات ، ولكن يبدو أن جل مؤرخي الفرق الإسلامية، ممن وصلتنا كتبهم، لم يعتنوا بصياغة حد وتعريف اصطلاحي دقيق للفرقة الكلامية، ويظهر أنهم كانوا مهتمين بعرض مقالات وأقوال الفرق وأفكار الفرق والنزعات الكلامية.

ويعتبر الشهرستاني (ت/ ٥٤٨هـ) مثالا متميزا في هذا الباب، إذ انه يكون الوحيد من القدامى الذي لم يسر في اتجاه إهمال النظر في حقيقة الفرقة ومعناها حيث أنه قال في مقدمة كتابه (الملل والنحل) حيث بيّن المقدمات الخمس التي صدر بها : " لابدّ إذن من ضابط في مسائل هي أصول وقواعد يكون الاختلاف فيها اختلافا يعتبر مقالة، ويعدّ صاحبه صاحب مقالة، وما وجدت لأحد من أرباب المقالات عناية بتقرير هذا الضابط، ألا انهم استرسلوا في إيراد مذاهب الامة كيف اتفق وعلى الوجه لا قانون مستقر ولا أصل مستمر". [٢٧]

فالقدامى استعملوا (الفرقة) في معنى عام جدا فقد أطلقوها على :

- (الجماعات الفكرية مثل المعتزلة) ،والفرق الدينية المتميزة بقيادة وتنظيم وفقه خاص بها مثل: الإمامية الإثنى عشرية والإسماعيلية)
- أو(الفرق المنظمة السياسية السلطوية أو المعارضة مثل الخوارج والبيهسيةالإباضية والأزارقة)،
- أو(شخصيات اشتهرت ببعض المقالات باينت أصحابهم في بعض المقالات مثل الشيبانية الخوارج).
- أو (شخصية أسست فرقة حقيقة مثل الجهمية) .
- أو(شخصيات تميّزت ضمن فرقها بمقالات خاصة من دون أن تعلن الانفصال عنها والتنكر لشيوخها السابقين مثل : النطامية والعلافية من المعتزلة)،

---

[٢٦] الفرق بن الفرق : ٧ .

[٢٧] الملل والنحل : المقدمة .

- أو(مقالات يصرحون بها ويعلون من شأنها مثل :الجبرية والمشبهة).

فهذه الأصناف متباينة جدا، ولا يستقيم منهجياً وضعها تحت عنوان واحد هو (الفرقة) ، ولعله يمكن رد تخليط القدامى في استعمال هذا المفهوم إلى :

١- عدم تمييزهم من حيث المبدأ الديني أوالسياسي شرعيةً كان أم غير شرع.
٢- الحرص على إبراز شدة اختلاف الخصوم وكثرة أنقسانهم.
٣- المحاولة والسعي إلى تحصيل عدد (٧٣) فرقة المذكورة في حديث الافتراق.

وبذلك علينا أن نعلم أن قيام الفرقة، أية فرقة كانت، يتحقق على التدريج، وفي غالب الأحيان دون خطة مسبقة لأن مسار فرقة من الفرق خاضع بدرجات متفاوتة لاعتبارات معرفية وسياسية واجتماعية لا يمكن التنبؤ بحصولها.

وعادة ما تسمى الفرقة :

- باسم مؤسس لها هو عند التأمل (مؤسس رمزي) أكثر منه مؤسس تاريخي لها (حينما توفي الأشعري مثلا، لا وجود وقتئذ لمذهب عقدي اسمه الأشعرية، بل إن تلاميذ الأشعري مثل الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ) والجويني (ت ٤٧٨ هـ) والغزالي (ت ٥٠٥ هـ) هم الذين أسسوا المذهب.
- وقد تسمى الفرقة تعويلا على أهم مقالة من مقالاتها سواء من جهة المدح من الأنصار (فرقة العدلية أو أهل التوحيد عند المعتزلة) أو من سبيل الذم من الخصوم "القدرية" للدلالة على المعتزلة
- أو "الروافض" للدلالة على الإمامية أو "الخوارج" بمعنى الخروج عن الدين.

إن لأصحاب المقالات طرقا في تعديد الفرق الإسلامية لا على قانون مستند إلى أصل ونص و لا على قاعدة مخبرة عن الوجود فما وجدت مصنفين منهم متفقين على منهاج واحد في تعديد الفرق.

ومن المعلوم الذى لا مراء فيه أن ليس كل من تميزه عن غيره بمقالة ما في مسألة ما عد صاحب مقاله، وإلا فتكاد تخرج المقالات عن حد الحصر والعد، ويكون من انفرد بمسألة فى أحكام الجواهر مثلا معدودا في عداد أصحاب المقالات فلا بد إذن من ضابط في مسائل هي أصول وقواعد يكون الاختلاف فيها اختلافا يعتبر مقالة ويعد صاحبه صاحب مقالة، وما وجدت لأحد من أرباب المقالات عناية بتقرير هذا الضابط إلا أنهم استرسلوا في إيراد مذاهب الأمة كيف اتفق وعلى الوجه الذي وجد لا على قانون مستقر واصل مستمر فأجتهدت على ما تيسر من التقدير وتقدر من التيسير المنحصرة في أربع قواعد هي:

القاعدة الأولى: الصفات والتوحيد فيها :

وهى تشتمل على مسائل الصفات الأزلية إثباتا عند جماعة ونفيا عند جماعة، وبيان صفات الذات وصفات الفعل وما يجب لله تعالى وما يجوز عليه وما يستحيل، وفيها الخلاف بين: الأشعرية والكرامية والمجسمة والمعتزلة.

القاعدة الثانية : القدر والعدل فيه:

وهي تشتمل على مسائل القضاء والقدر والجبر والكسب وإرادة الخير والشروالمقدوروالمعلوم إثباتا عند جماعة، ونفيا عند جماعة وفيها الخلاف بين: القدرية والتجارية والجبرية والأشعرية والكرامية.

القاعدة الثالثة: الوعد والوعيد والأسماء والأحكام:

وهي تشتمل على مسائل الإيمان والتوبة والوعيد والإرجاء والتفكيروالتضليل إثباتاعلى وجه عند جماعة، ونفيا عند جماعة وفيها الخلاف بين المرجئة والوعيدية والمعتزلة والأشعرية والكرامية.

القاعدة الرابعة: السمع والعقل والرسالة والإمامة :

وهي تشتمل على مسائل التحسين والتقبيح والصلاح والأصلح واللطف والعصمة في النبوة وشرائط الإمامة نصا عند جماعة، وإجماعا عند جماعة وكيفية بأن انتقالها على مذهب من قال بالنص، وكيفية إثباتها على مذهب من قال بالإجماع، والخلاف فيها بين الشيعة والخوارج والمعتزلة والكرامية والإشعرية.

فإذا تعينت المسائل التى هى قواعد الخلاف تبينت أقسام الفرق الإسلامية وانحصرت كبارها في أربع حسب الدراسات وبعد أن تداخل بعضها في بعض.

كبار الفرق الاسلامية اربع :

أولا: الخوارج
ثانياً : الشيعة
ثالثا: الصفاتية
رابعاً: القدرية
ثم يتركب بعضها مع بعض ويتشعب عن كل فرقة أصناف فتصل إلى (ثلاث وسبعين) فرقة .
ينظر: الملل والنحل: ج ١ ص ١٤ – ١٥.

حديث افتراق الأمة

نتطرق في هذه الوحدة إلى سند الحديث ومتنه ونتوقف على الفرقة الناجية الواردة في الحديث.

سند الحديث:

اختلف العلماء حول سند الحديث إلى فريقين:

الفريق الأول القائلون بصحة الحديث، منهم الحاكم، أبو داوود الترمذي، وغيرهم، وقالوا:

- بأن الحديث على شرط مسلم.
- تضافر نقله واستفاضة روايته.

قال الألباني في "السلسلة الصحيحة" ١ / ٣٥٨ : اخرجه أبو داود (٢ / ٥٠٣ - ٥٠٤) ، و الدارمي (٢ / ٢٤١) وأحمد (٤ / ١٠٢) و كذا الحاكم (١ / ١٢٨) وغيرهم. وقال الحاكم و قد ساقه عقب أبي هريرة المتقدم : "هذه أسانيد تقام بها الحجة في تصحيح هذا الحديث" ووافقه الذهبي

وقد استدرك عليه الذهبي بأن في مسنده محمد بن عمرو" ولا يحتج به منفرداً ولكن مقرونا بغيره".

والذي يجبر ضعف السند هو تضافر نقله واستفاضة روايته في كتب الفريقين الشيعة والسنة بأسانيد مختلفة، ربما تجلب الاعتماد، وتوجب ثقة الإنسان به.

الفريق الثاني: القائلون بعدم ثبوت صحة الحديث، ومنهم ابن حزم، ابن الوزير، وحجتهم في ذلك: -ورود الأعداد الواردة في الحديث مخالفة للواقع، والأعداد محددة غير قابلة للتفسير مما يؤكد عدم صحة الحديث، ورود الطعن في رواة الحديث ،وهذا لانسلمه لورود الحديث صحيحاً.

وإذ ثبت ذلك ظهر جليا سبب تنكب البخاري ومسلم عن تخريج هذا الحديث مع شهرته وشيوعه وكثرة طرقه إذا لم يجدا له طريقاً واحداً صحيحا على شرطهما، بل ولم يبوب البخاري له بابا في جامعه مع أنه ربما بوب لترجمة بحديث ليس على شرطه، فدل ذلك على أن كثرة طرق الحديث قد تكون سببا للإعراض عنه إذا كان مدارها كلها على الضعفاء، إذ في رواجها بينهم دون الثقات مع عناية الحفاظ الإثبات على حفظ الصحيح وجمعه وروايته ما يؤكد بطلانها وإن كثرت طرقها، إذ بعيد أن تروج وتشتهر كل هذا الاشتهار ولا يسلم لها طريق واحد من رواية الثقة عن الثقة.

إن مشكلة اختلاف نصوص الحديث لا تقل إعضالاً عن مشكلة سنده، فقد تطرق إليه الاختلاف من جهات شتى، ولا يمكن مع الاعتماد على واحد منها، وإليك الإشارة إلى الاختلافات المذكورة

أ- الاختلاف في عدد الفرق:

- روى الحاكم عدد فرق اليهود والنصارى بين إحدى وسبعين واثنتين وسبعين، بينما رواه عبد القاهر البغدادي بأسانيده عن أبي هريرة على وجه الجزم والقطع، وأن اليهود افترقت إلى إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة.
- وفي الوقت نفسه روي بسند آخر افتراق بني إسرائيل على اثنتين وسبعين ملة وقال: "ليأتين على أمتي ما أتي على بني إسرائيل، تفرق بنو إسرائيل على اثنتين وسبعين ملة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة".
- ونقل بعده بسند آخر افتراق بني إسرائيل على إحدى وسبعين فرقة.
-

ب **الاختلاف في عدد وتحديد الهالكين :**

إن أكثر الروايات تصرح بنجاة واحدة وهلاك الباقين. وعن البغدادي بسنده عن رسول الله أنه قال: كلهم في النار إلا ملة واحدة. وروي الترمذي وابن ماجة مثل ذلك.

ملاحظة:

أولا: إن ذكر هذه الأعداد وتحديدها: (٧١، ٧٢، ٧٣) غير دقيق ، وقد ظهر لدى مؤرخي الفرق في وضعهم فروقا وأصنافاً داخل التيارات الرئيسية حتى يستطيعوا الوصول إلى ٧٣ فرقة.

فانهم أن افتراق المسلمين لم ينته عند عصرهم وانه لابد ستنشأ فرق جديدة باستمرار مما يجعل حصرهم هذا خطأ تماماً إذا لا يحسب حساباً لما سينشأ بعد ذلك من فرق إسلامية جديدة.

والواقع أن حصر الفرق في العدد المذكور تفصيلا ليشمل كل فرقة - فيه إشكال، وذلك أن أصول الفرق لا تصل إلى هذا العدد، وتختلف وجهات نظر العلماء في عدها أصلية أو فرعية، ثم إن فروع الفرق تصل إلى أكثر من هذا العدد، فهل نعد الأصول مع الفروع؟ أو الأصول فقط؟ أو الفروع فقط؟

ومن جهة أخرى عندما نبحث عن عدد الفرق الإسلامية نجد أن العدد يتعدى المائة، نلاحظ هذا الجدول:

	أسماء الفرق	العددعند الإمام الأشعري	عند الشهرستاني	عند البغدادي	عند الخوارزمي	عند القاضي عبدالجبار
١-	الشيعة	٤٥	٣٢	-	٦١	٦١
٢-	الخوارج	٣٦	١٧	-	١٤	١
٣-	المرجئة	١٢	٥	-	٦	١
٤-	المعتزلة	١	١٣	٢٠	٦	-
٥-	الجهمية	١	١	-	-	-
٦-	الجبرية	-	١	-	٥	-
٧-	المشبهة	-	-	-	١٣	-
٨-	أصحاب الحديث	١	١	-	٤	١
٩-	الأخرى	الضرارية، الحسنية، البكرية	الضرارية، الحسنية، البكرية، النجاتية، الصفاتية، الكرامية، الأشعرية	-	-	-
	المجموع	٩٩	٧٨	٢٠	١٠٩	٦٤

تصنيف الفرق الإسلامة

سنعرض في هذا المبحث نقطتين أساسيتين، نعالج في الأولى مسألة سلمين الاختلاف في تعداد الفرق من خلال محاولة الانسجام مع العدد المشار إليه الكتاب في الحديث، ونعرض في الثانية معايير تصنيف الفرق الإسلامية.

أولا: مسألة تعداد الفرق :

جعلنا عمدتنا في الحديث عن تعداد الفرق الحديث المتداول بين كتاب المقالات بصرف النظر عن موقفنا من الحديث نفسه، والذي سنعود إليه بالدراسة والتمحيص في اللاحق وخاصة حين الحديث عن التأصيل، إذ سنضطر موضوعيا إلى بيان قيمة الحديث من حيث السند والمتن.

اختلفت كلمة الباحثين في حصر العدد في فرق محدودة نظرا الصعوبات موضوعية، يؤكد هذا المعنى قول العلامة الشاطبي نقلا عن الطرطوشي : " إنها مما طاشت فيه أعلام الخلق"، ويتقرر هذا الانطباع بما ورد في كتب المقالات، ولبيان ذلك اخترنا العينات الآتية:

١- البغدادي في كتابه (الفرق بين الفرق).
٢- الخوارزمي في كتابه (مفاتيح العلوم)

٣- الاسفراييني في كتابه (التبصير في الدين والفرقة الناجية)
٤- أبو إسحاق للشاطبي في كتابه (الاعتصام)

١ - الفرق بين الفرق للبغدادي: قسمها على النحو الآتي :

فرق الخوارج =٢٠ فرقة

فرق الروافض=٢٠ فرقة

فرق القدرية =٢٠ فرقة

فرق المرجئة =٢٠ فرقة

فرق النجارية= ٠٣ فرق القدرية

البكرية واحدة= ٠١

الضرارية واحدة= ٠١

الجهمية واحدة=٠١

الكرامية واحدة=٠١

المرجئة=٠١

المجموع= ٨٧ فرقة

لهذا يحق لنا التساؤل موضوعيا عن التصنيف والترتيب والتبويب، مما يؤكد الصعوبة المشار إليها أعلاه.

٢ - مفاتيح العلوم الخوارزمي :

ذكر أن أرباب العقائد سبعة أصناف ينتقل بعدها إلى بيان تفاصيل الفرق الفرعية، وقد حددها وفق ما يأتي بيانه:

المعتزلة = ٠٦ فرق

أصحاب الحديث= ٠٤ فرق

المشبهة= ٣١ فرقة

الشيعة= ٠٥ فرق

الخوارج= ٢٤ فرقة

المجبرة = ٠٥ فرق

المرجئة= ٠٦ فرق فالمجموع = ٦٣ فرقة

٣ - التبصير في الدين لأبي المظفر الإسفراييني :

الإمامية (الروافض)= ٥١ فرقة

الخوارج= ٢٠ فرقة

القدرية= ٢٠ فرقة

المرجئة= ٠٧ فرق

البكرية واحدة =٠١

النجارية واحدة=٠١ وهم ١٠ فرق

الضرارية واحدة =٠١

الجهمية واحدة=٠١

وهم ١٠ فرق :

الكرامية = ٠٣ فرق ويعدون فرقة واحدة (٠١) فالمجموع على أربعة أقوال:

٥١+٢٠+٢٠+٠٧+١٠+١٠+١٠+١٠+١٠+١٠+ الناجية = ٦٨

٥١+٢٠+٢٠+٠٧+١٠+١٠+١٠+١٠+١٠+٠٣+ الناجية=٧٠

٥١+٢٠+٢٠+٠٧+١٠+٠١+١٠+١٠+١٠+١٠+ الناجية = ٧٦

٥١+٢٠+٢٠+٠٧+١٠+٠١+١٠+١٠+١٠+٠٣+ الناجية =٧٨

يؤكد التعارض في الكتاب الواحد على صحة ذكرناه آنفا.

٤ - الاعتصام للشاطبي وهو ما ذكره الإيجي في المواقف=٢٠ فرقة

المعتزلة= ٢٠ فرقة

الشيعة = ٣ فرق (منقسة إلى غلاة ١٨ ، وزيدية ٠٣ ،وإمامية (١٠)

الخوارج = ٠٧ فرق

الإباضية = ٠٤ فرق

العجاردة= ١١ فرقة

المرجئة= ٠٥ فرق

النجارية= ٠٣ فرق

الجبرية= واحدة (٠١) إذن المجموع= ٧٣ فرقة

معايير التصنيف :

تصنف الفرق الإسلامية باعتبارات متنوعة ومتمايزة، وهي من هذا الجانب لا تخرج في الغالب عن الاعتبارات الآتية:

١ - تصنيفها باعتبار الفرقة الأصلية.

٢ - تصنيفها باعتبار الفرقة الفرعية.

٣ - تصنيفها باعتبار الشخصيات التي تنسب إليها.

٤ - تصنيفها باعتبار أصولها الكلامية

٥ - تصنيفها باعتبار المسألة السياسية.

٦ - تصنيفها باعتبارات مختلفة.

أولا: تصنيفها باعتبار الفرقة الأصلية:

تقسم الفرق الإسلامية في مؤلفات الملل والنحل القديمة والحديثة تقسيمات ثابتة توارثتها الأجيال لاحقا عن سابق، بحيث اتفقت كلمتهم في تبني نسق واحد في تصنيفها باعتبار الفرقة الأصلية.

تقسم الفرق الإسلامية بهذا الاعتبار على النحو الآتي:

- أهل السنة.
- الشيعة.
- الخوارج
- المعتزلة

وقد زيد عليها بعض التفصيل لدى بعض المتقدمين، ولكن رغم هذا وانتماءاتهم المذهبية، فقد تناقلتها المصادر السنية والمصادر الشيعية والمصادرالإباضية والمعتزلية.

يقرر هذه الحقيقة مؤلفات المقالات على تنوع مشارب أهلها، وبهذا الصدد تنقل بعض المصادر التصنيف تحت عنوان كبار الفرق الإسلامية.

يقول عضد الدين الإيجي (٧٥٦ هـ) : اعلم أن كبار الفرق الإسلامية ثمانية:

(المعتزلة، والشيعة والخوارج، والمرجئة، والجبرية، والمشبهة، والناجية، ويقصد بالناحية أهل السنة والجماعة.).

وينقل أحد المتأخرين عن ابن خلدون ـ وبشيء من التعليق وإعادة الترتيب، وفق ما يقتضيه التأليف في العصر الراهن ــ تصنيفا خاصا الفرق باعتبار الأصل الأكبر، وقد انتهى فيه إلى النسق الآتي:

الشيعة، والخوارج، والمرجئة، والمشبهة، والمعتزلة، والأشاعرة، والتيمية، ورغم ذكر الرجل للفرق المشار إليها أعلاه، يقول «إننا لنرى أن الفرق الإسلامية: لا تخرج عن هذه الفرق الأربع)، لا ندري من أين جاءه هذا العدد.

يلاحظ أن الأنموذجين المشار إليهما، زادا عن المتفق عليه بعض الفرق الأصلية (الكبيرة)، وهي حسب رأي بعض المؤلفين القدامى مدرجة في فرقة أصلية أخرى، وهذا وفق ما تمليه الانتماءات المذهبية.

فالمشبهة مثلا - وإن كانت مذهبا مستقلا لدى البعض - تمثل أهل السنة والجماعة حسب رأي مؤلفي المقالات الإباضية، وأهل السنة معبرفي بعض مؤلفات المخالفين بالمرجئة، وهم على رأي ثالث جبرية وهكذا دواليك.

ثانيا: تصنيفها باعتبار الفرق الفرعية .

ثالثا: تصنيفها باعتبار الشخصية المركزية أو الفكرة التي تنسب إليها

رابعا : تصنيفها باعتبار أصولها الكلامية

خامساً: تصنيفها باعتبار المسألة السياسية.

سادسا: تصنيفها باعتبارات مختلفة أخرى .

المحاضرة السادسة / الأمة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

أولا: تعريف الأمة :
لغة : مشتقة من (أمّ) ، ومادة (أمّ) بالهمزة والميم المشدّدتين أصل واحد، وهذا الأصل ومشتقاتها تأتي بمعاتٍ متقاربة.
فاللفظ يأتي بمعنى القصد والتوجه، يقال : أمّه يؤمه أمّا، إذا قصده.
قال الراغب الأصفهاني في مفرداته : " الأمة كل جماعة يجمعهم أمر ما ، إما دين واحد، أو مكان واحد، سواءً كان ذلك الأمر الجامع تسخيرا أم اختيارا، وجمعها: أمم".

اصطلاحا :
جماعة بشرية، يربطهم الإيمان والخضوع للمرجعية الإسلامية - بالنسبة للمسلم، يأخذ معنى عقيدياً، وعند غير المسلم معنى حضارياً، يحملون رسالتها الحضارية إلى الناس، وتسود بينهم قيم التعاون والتراحم.

ثانياً: دلالات ومعاني (الأمة) في القرآن والسنة
- وردت كلمة (أمة) في القرآن بصيغة المفرد، خمسين مرة، في تسع وأربعين آية، منها أربع آيات مكية، والبقية مدنية.
- كما وردت بصيغة الجمع ثلاث عشرة مرة، منها اثنتا عشرة مرة مكية، وواحدة مدنية، ووردت مرتين بصيغة (أمماً)، في (سورة الأعراف) المكية.
- وأن مِن معاني ودلالات (الأمة)، هي التي وردت في اللغة العربية. ولكن بالتركيز على الأبعاد المعنوية والفكرية فيها – يتمييز لنا ستة أو سبعة معان أساسية لكلمة (أمة) في القرآن الكريم حسب التفاسير والدراسات القرآنية المقدّمة.

أولاً: كلمة (أمة) تعني : (الوقت والحين، أو الفترة الزمنية):
- كما جاء في الآيات التالية: ﴿ وَلَئِنْ أَخَرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلى أُمَّةٍ مَعْدُودَة لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ)، وكذلك قوله تعالى: (وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَإِذْكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ)).
- علماً بأن الجامع مع المعنى المشهور من (الأمة) هو الجماعة، وفي ذلك أطلق القرآن الكريم كلمة الأمة على الفترة الزمنية، لأن الأمة تتكون وتنشأ فيها.

ثانياً: كذلك يرد و يقصد بـ (الأمة) في القرآن الكريم : (مجموعة من الناس تجمعهم مهنة واحدة، أو لها مهنة واحدة).
- كما في قوله تعالى: (وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنْ النَّاسِ يَسْقُونَ)).

- وقوله تعالى: (وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)، و(الأمة) هنا: "الجمع الكثير" ، وهذا الجمع ربما يكونون مختلفين فيما بينهم من وجوه، كما يقول البيضاوي: "جماعة" كثيرة مختلفين .
لكن الذي يجمعهم هو عنصر المهنة فقط، وهي هنا السقاية كما يقول ابن كثير: "أي جماعة يسقون)). وفي الآية الثانية واضح أن عنصر الارتباط، وأصرة التجمع بينهم، والتي كونت منهم (أمة)، هي الاجتهاد في الموعظة.

ثالثاً: الدلالة الثالثة لـ (الأمة) هي الطريقة المتبعة، أو منهاج الحياة، وما يتضمنه من القيم والمعتقدات والممارسات والأعراف:
- كما جاء في هذه الآيات الكريمة: (بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ) .

رابعاً: وقد ترد لفظة (أمة)، ويقصد بها : (تجمع المخلوقات الأخرى غير الإنسان؛ من الحيوانات والطيور والحشرات التي تنتمي إلى جنس واحد، أو يجمعهم عنصر الجنس).
كقوله تعالى: (وَمَا مِنْ دَابَّة في الأرض وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ)، قال قتادة: "الطير أمة، والإنس أمة، والجن أمة، وأصل الدابة من دبّ يَدُبُّ فهو داب، . بعد هذا التفسير الذي يشمل كل جنس من الأحياء من الحيوانات والحشرات، والزواحف والطيور.
ويقول القرطبي في تفسيره: (إلا أمم أمثالكم)، أي جماعات مثلكم في أن الله عزّ وجلّ خلقهم، وتكفل بأرزاقهم " .
وقد اختلف المفسرون في المثلية، ووجه الشبه بين تلك المخلوقات، وبين الإنسان، فقال الدينوري: "أي أصناف، وكل صنف من الدواب والطير مثل بني آدم في المعرفة بالله، وطلب الغذاء، وتوقي المهالك، والتماس الذراء، مع أشباه لهذا كثيرة ".

خامساً: والمعنى الخامس للأمة هو (القوم، أو الجماعة، تجمعهم روابط الجنس والدم)، أو (مطلق الجماعة) بدون تحديد أي جامع لهم، كما جاء في الآيات التالية:
- (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ).
- (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ).
- (مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ).
- (وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ).

سادساً: وقد تكون دلالة مصطلح الأمة هي الأمم الخالية قبل بعثة خاتم الرسل، التي اتخذت موقفاً محدداً سلباً أو إيجاباً - إزاء الدين الذي جاء به نبيهم، فإذا استجاب القوم لنبيهم، وصفت الأمة بالقائمة أو المقتصدة، أو غير ذلك، وإن لم يستجبوا له، فكانت أمة مجتمعة على تكذيبه، وعمل السيئات، كما جاء في الآيات التالية:

- (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ) .
- (كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَانِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ) .
- (ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ).
- (وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ).

سابعاً: والمعنى الأخير، وهو الأساسي والمشهور من مفهوم الأمة، واستقرت عليه الدلالة النهائية لمفهوم الأمة في الرؤية الإسلامية، ويجمع في مضمونه المعاني الأخرى. وهذا المعنى يشترك في تكوينه عنصر(الإنسان مع الرسالة)، أي أن (الأمة) هي : (الإنسان - الرسالة) .

و(الرسالة) هنا إما أن تكون ديناً متكاملاً، ومنهجاً شاملاً للحياة السعيدة، ويتضمن القيم والمثل العليا، ويقدم النموذج الأمثل للجوانب الخيرة في
وإما أن تكون الرسالة دعوة إلى جانب من جوانب هذا الدين المتكامل والمنهج الشامل، لإحيائه بعد الإندراس، وتجديده بعد أن طوته صفحة النسيان، وذبل في النفوس والقلوب. وقد يطلق عليه (الدعوة)، أو (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر). هذا بالنسبة إلى الرسالة.
وأما (الإنسان)، العنصر الثاني في المفهوم، فهو قد يكون فرداً واحداً، كما هو الحال بالنسبة إلى سيدنا إبراهيم - عليه الصلاة والسلام
- قوله تعالى: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ). قال ابن عباس - رضي الله عنهما : أي كان عنده عليه السلام من الخير ما كان عند أمة، وهي الجماعة الكثيرة، فإطلاقها عليه لاستجماعه كمالات لا توجد إلا متفرقة في أمة جمة . والأمة هنا المقتدى، والرجل الجامع للخير.

ثالثاً: المفهوم الاجتماعي والسياسي لمصطلح الأمة:

- (الأمة) : ظاهرة اجتماعية حضارية ، وحقيقة تاريخية، تشترك مع الكيانات الأخرى في تفاعلها مع المؤثرات الواقعية، ولكن تختلف عنها في حدود هذا التفاعل في ضوء تمايز النشأة والمنبت والغاية، وهي كذلك مفهوم محوري في العلوم الاجتماعية، وفي الفلسفة السياسية، هذا من جهة..

ومن جهة أخرى فإن كلمة (الأمة) أصبحت - منذ نزول القرآن الكريم - من بين الألفاظ المتداولة بكثرة، وبحكم أن الأمة هي المخاطبة في النصوص الشرعية - كما سنفصل - صار من "المفاهيم الأساسية في السياسية الشرعية، المرتبطة بتطبيق أحكام الإسلام في واقع الحياة "،

- والمعاصرون والدارسون في تعريفهم مصطلح الأمة، وتحديد دلالته، وهم ينقسمون إلى تيارين رئيسين:

التيار الأول:

- التعريف الأول:

وهم ينطلقون من منطلق الفكر القومي، المتأثر في الأساس بالفكر الغربي، والذين يزعمون أنهم يتجاوزون التصور القرآني للأمة، وأن "تصور الأمة في الأيديولوجية القومية، من حيث إنها نتاج فكري حديث، يحاول أن يتجاوز التصور القرآني للأمة.

ولكنه يقع تحت تأثير هذا التصور من جهة أسبقيته في التراث، وتأصله في النفوس المتدينة، وبمقدار اعترافه بمكانة الإسلام في التراث القومي. نعم، يريدون أن يتجاوزوا التصور القرآني، ولكنهم يقعون تحت تأثير الفكر الغربي، بل ينطلقون من نفس منطلقات الفكر الغربي، ويحصرون مفهوم الأمة، الواسع المنفتح في نطاق ضيق، ويقيدونه بقيود اللغة، وحدود الجغرافيا، وإطار الأعراف، ويرجعون بنا إلى عصر القوميات.

- كما يقول الدكتور محمد المبارك: "إن المفهوم القومي للأمة مفهوم متخلف، لأنه يرجع بنا إلى مرحلة الدول القومية والتجمعات القومية، وهو مفهوم جامد، لأنه يجمد الأمة في مرحلة من مراحل تطورها التاريخي، ويحول دون تطورها المتحرك في اتجاه التقاء عدة قوميات وشعوب على عقائدية (أيديولوجية) مشتركة، كما هو الواقع في تطور البشرية .
- وهذه نماذج من تعريف هذا التيار:
- الأُمة: "هي جماعة عرقية ثقافية، سياسية، تاريخية، واقتصادية، واحدة " .
- الأمة: "هي مجموعة من الأفراد، تجمعهم ثقافة مشتركة تستند إلى وحدة الأصل، أو اللغة، أو الدين، ويربط بينهم تاريخ وتراث اجتماعي، ومصالح اقتصادية، ويعيشون على أرض واحدة، ويعملون على دوام هذه الروابط، من الناحية السياسية، في إطار الدولة هذا هو التعريف الأول للأمة.

- التعريف الثاني: وهذا التعريف يذكر كل شيء إلا الدين والتصور والمعتقد، كعنصر لارتباط أفراد الأمة وتوحيد انتمائهم، فالثقافة المشتركة يصنعها الفكر والعقيدة والتاريخ هو تاريخ الفكر والعقيدة، وما يتولد منها من الحضارة. وأما العرق، فأمره واضح في الرؤية الإسلامية فهو جعل إلهي {وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ، ويهدف إلى التعارف والتعاون لِتَعَارَفُوا، ويجب أن لا يتخذ عنصراً للتمايز والانتماء.

- وأما التعريف الثالث: فيعدد مجموعة من الأواصر والروابط، من بينها الدين حيث يمكن أن يستند عليها تكوين الأمة، فهو - أي: الدين -، مع وحدة الأصل.

التيار الثاني:

هؤلاء ينطلقون من منطلق قرآني، ورؤية إسلامية واضحة، لتحديد مفهوم الأمة، ولا يبعدون عن العنصر الأساسي لمفهوم الأمة اللغوية، وهو القصد والاتجاه، وكذلك الجماعة. وهذه نماذج من تعريف هذا التيار :

الأُمة :
"تجمع بشري، ناجم عن التفاعل بين الإنسان والرسالة المنزلة، وهو لذلك تجمع عقدي فكري، يتميز عن أي تجمع طبيعي عضوي يقوم على أصرة الدم والنسب؛ كالأسرة، أو القبيلة أو القوم".
ويضيف صاحب التعريف: فبينما تتحدد الرابطة الأسرية، والقبلية، والقومية، بالتماثل الشكلي أو العرقي أو اللساني، يتميز الانتماء الأمتي بوحدة القصد، والفكرة، والتوجه .. وكما عرفنا سابقاً أن من دلالات (الأمة) اللغوية: القصد والتوجه.

إن المعنى الاصطلاحي المتكامل لـ (الأمة) يتضمن عناصر أربعة:
الأول؛ العنصر البشري،
والثاني العنصر الفكري،
والثالث العنصر الاجتماعي،
والرابع العنصر الزمني
فالأمة مجموعة من الناس تحمل رسالة حضارية نافعة للإنسانية وتعيش طبقاً لمبادئ هذه الرسالة، وتظل تحمل صفة (الأمة) مادامت تحمل هذه الصفات. أما حين تفقدها، فقد يطلق عليها اسم (الأمة)، ولكنها لن تكون النموذج الإسلامي للأمة، تماماً كما يطلق اسم (دين) على أي دين، ولكن الدين المقبول عند الله هو الإسلام .

التعريف الراجح :
جماعة بشرية، يربطهم الإيمان والخضوع للمرجعية الإسلامية - بالنسبة للمسلم، يأخذ معنى عقيدياً، وعند غير المسلم معنى حضارياً، يحملون رسالتها الحضارية إلى الناس، وتسود بينهم قيم التعاون والتراحم.

الأمة، في رؤية وتصور الإسلامي، تتكامل فيها عناصر أربعة، هي:
أ- جماعة يسودها الإيمان بالمقومات الأساسية للدين الإسلامي، أو مرجعية الإسلام، هذا الإيمان يتخذ معنى عقديّاً عند المسلم، وقد يتخذ معنى حضارياً ثقافياً عند غير المسلم.
ب- هذه الجماعة تملك إدراكاً واحداً في كل ما له صلة بهذه المرجعية، وأهمها بالطبع - الخضوع لهذه المرجعية، واحترام ما ينبثق عنها كنظام متكامل للسلوك الفردي والجماعي، الذي تجسده الشريعة.
ج- يلف جميع عناصر تلك الجماعة مبدأ التضامن، بما يعنيه ذلك من سيادة قيم التراحم والتعاون: (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا) .
د - محور الوظيفة الحضارية لتلك الجماعة المتضامنة هو مفهوم (الدعوة)، في السلوك الفردي والجماعي واتخاذها أساساً لبناء النظم. وهذا الالتزام بالمرجعية هو سبيل تحقيق الشهادة على العالمين: (لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) .

وفق هذا التحليل لمفهوم ومقومات الأمة، نستطيع أن نعرفها كالآتي:
الأمة جماعة بشرية، يربطهم الإيمان والخضوع للمرجعية الإسلامية - بالنسبة للمسلم، يأخذ معنى عقيدياً، وعند غير المسلم معنى حضارياً، يحملون رسالتها الحضارية إلى الناس، وتسود بينهم قيم التعاون والتراحم.

رابعاً: مكونات الأمة في المفهوم الإسلامي:

الأمة في المفهوم والرؤية الإسلامية :
هي أمة القيم، بما تحمله من شرعة ومنهاج تحرك به أصول الدعوة، وعالميتها، ضمن حقائق الشهود والشهادة، والحضور والوعي، والفاعلية والتأثير.

(الأمة) تتكون من عناصر مثالية هي :

١-الأفراد المؤمنون:

أفراد من البشر، لهم معتقدات معينة عن الخالق والمنشأ والحياة والمصير، يؤمنون بأحقية المرجعية الإسلامية لأن تكون مرجعاً فكرياً حضارياً وأخلاقياً . ومنه قوله تعالى: (والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين ءامنوا وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر).

٢-الهجرة والمهجر:

وهي عبارة عن انتقال هؤلاء الأفراد من أنساق المجتمعات السابقة والقديمة إلى نسق المجتمع الإسلامي، من مجتمعات كانت الرابطة فيها قبلية أو قومية، إلى مجتمع متميز برابطته الأمنية، وسواء كان الانتقال حسياً أو نفسياً: (والمهاجر من هَ جر ما نهى الله عنه).

٣-الرسالة والجهاد:

من أجلها وهي عبارة عن رسالة الإسلام الحضارية، والتي قد يعبر عنها القرآن بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد يعبر عنها بالدعوة، أو الخير .. وهي جميعاً عناصر أساسية من هذه الرسالة ومنه قوله تعالى : (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون).

٤-الإيواء:

هو تعبير قرآني عن توفير الإقامة الآمنة المريحة، وكذلك عن الأخوة العملية بين المؤمنين والتعاون والتضامن فيما بينهم، وتنظيم علاقاتهم الاجتماعية على هذا الأساس. أما بالنسبة إلى المكان الجغرافي الوطن ، كمكون للأمة، فهو غير أساسي، لأن الأرض كلها بالنسبة للمؤمن وطن، فلا فرق بين مكان ومكان، فالمؤمن لا يرتبط بأرض معينة . وقد قال تعالى : (والذين ءامنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين ءاووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كبير). (الأنفال: ٧٤)

٥-النصرة:

وهي مكمل للمكوّن الرابع، أو جزء فيه، أو من مقتضياته، ومعناه نصرة المؤمن لدين الله، ونصرته للمؤمنين: قال تعالى : (إِلا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سكينته على رسوله وعلى المؤمنين).

٦-الولاء والولاية :

فالولاء في الرؤية الإسلامية يجب أن يكون لله ولرسوله وللمؤمنين، وقد قال تعالى : (إنما وليكم الله ورسوله والذين ءامنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون). المائدة/ ٥٥.

فبهذه المنطلقات والمكونات الأساسية لتكوين الأمة المسلمة نجد في مستهل تكوين الأمة الإسلامية أفرادا وأسرا و مجتمعات و حضارة ، ولذلك نجد إبراز أهمية كل من حادثة (بيعة العقبة) و حادثة (الهجرة) و من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ، والارتباط والتآلف بين قبيلتي (الأوس والخزرج) والتعاون بينهم معاً على حماية المهاجرين ولقببيلة غيرهما قبيلة (قريش) وغيرهم.

إذن مع عقد (ميثاق العقبة) تمّ الإعلان عن ولادة (الأمة) كظاهرة اجتماعية سامية ومتميزةومنسقة صاحب فقه الأولية و والرابطة العقدية والسلطة الإدارية والعلاقية والسياسية ذات كيان وسيادة .

وأيضاً عن طريقه تم تحديد أسسس التعامل بين الفئات المختلفة في المجتمع الوليد و تحديد مفهوم الأمة في الرؤية الإسلامية في الوثيقة المعروفة بـ(صحيفة المدينة) أول دستور مكتوب في تاريخ الإنسانية.

ولقد لخص الباحثون منهم (لؤي صافي) أهم المبادىء المتعلقة بمفهوم الأمة التي تحتويها الوثيقة منها:

أولاً: أعلنت الوثيقة أن الأمة الإسلامية المشكلة، مجتمع سياسي منفتح لجميع الراغبين في الالتزام بمبادئه وقيمه، والنهوض بتبعاته، وليس مجتمعاً منغلقاً تقتصر عضويته والتمتع بحقوقه وضماناته على فئة مختارة، وحق العضوية في الأمة الإسلامية يتحدد - كما تشير الوثيقة - في أمرين:

١ - قبول مبادئ النظام الإسلامي، وهو قبول يتجلى في قرار(اتباع) الأحكام الأخلاقية للشريعة الإسلامية.

٢ - الالتحاق بالنظام الإسلامي.

ثانياً: نجم عن بروز الأمة الإسلامية في المدينة اختزال القيمة السياسية للرابطة القبلية دون إلغائها، فتحولت الرابطة القبلية من رابطة سياسية رئيسية، إلى رابطة ثانوية خاضعة في القيمة والاعتبار لرابطة رئيسية عليا هي الرابطة العقدية المحددة لإطار الأمة.

ثالثاً: من السِّمات الأساسية للإسلام، وطبيعة نظامه السياسي، هي التسامح الديني المبني على حرية اعتقاد أفراد المجتمع، فأعطى اليهود الحق في اتباع أحكام دينهم، مؤكداً حق المجتمع، مسلمين وغير مسلمين في العمل بالمبادئ والأحكام التي آمنوا بها.

رابعاً: أكدت الصحيفة أن السلوك الاجتماعي والسياسي في النظام الجديد يجب أن يخضع إلى منظومة من القيم الكلية والمبادئ المعيارية، التي يتساوى أمامها الجميع.

خامساً: أكدت الصحيفة أنّ المرجعية العليا في النظام الإسلامي للحكم لحكم الوحي الإلهي، متمثلاً في نصوص القرآن الكريم، أو حكم رسول الله عليه الصلاة والسلام. وتستند هذه المرجعية عند ظهور الخلاف والشقاق بين مختلف الأطراف مسلمين أكانوا أم يهود إلى قواعد العدل التي أسستها الرسالة الإسلامية.

سادساً: أعلنت الوثيقة عدداً من الحقوق السياسية التي يتمتع بها أفراد المجتمع السياسي الإسلامي المسلمين منهم وغير المسلمين، مثل: حق المظلوم على المجتمع بالنصرة واسترداد مظلمته.

مقومات الأمة، وخصائصها :

فمن مقومات الامة :

أولاً - وحدة الانتماء : منها ما قاله تعالى : (يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) . الحجرات/١٣.

ثانياً - وحدة الهدف . قال تعالى : (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ).

المؤمنون/(١١٥) ولذلك نجد أن رسالة الأمة الإسلامية في هذه الوحدة لها ثلاثة أبعاد تكاملية : (تحقيق التوحيد) و (تحقيق العبودية) و (تحقيق الإعمار/ عمارة الأرض).

ثالثاً - وحدة المشاعر. قال تعالى : (فألف بين قلوبهم فأصبحتم بنعنته إخوانا وكنتم على شفاحفرة من النار). ال عمران/ ١٠٣.

أما من حيث خصائص الأمة: فعند التأمل في آيات قرآنية نجد أنها تصف الأمة بثلاث خصائص :

أولاً - خيرية الأمة : قال تعالى : (كنتم خير امة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ونؤمنون بالله). آل عمران /١١٠.

ثانياً - وسطية الأمة، قال تعالى : (وجعلنا كم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) .

ثالثاً - وحدة الأمة، قال تعالى : (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات).

وظائف الأمة:

أ/ واقع الأمة في الخطاب الشرعي

أولاً - التعاقد السياسي في الرؤية الإسلامية
ثانياً - تأصيل التعاقد السياسي في الفكر الإسلامي
١- التعاقد في السنة النبوية
٢- التعاقد في ممارسات الصحابة السياسية
٣- التعاقد في فكرة الفروض الكفائية
٤- التعاقد في القواعد الفقهية
ثالثاً- أهل الحل والعقد:

أ/ وظيفة الأمة التشريعية:
١ - تعريف التشريع ومفهومه
٣-كيف يتبوأ نواب الأمة سلطتهم

ب/ وظيفة الأمة السياسية:
١- الشرعية وإسناد السلطة ، قال تعالى : (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك ..الآية) الشورى/١٣..
٢- مراقبة السلطة ومحاسبتها قال عليه السلام : (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا). (٩٧)
٣- سحب الشرعية عن السلطة وعزلها قوله عزوجل : (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)، وقوله : (من رأى منكم منكراً فليغييره بيده فإن لم يستطع فلبلسانه ومن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) والذي يطلق عليه بفقه التغيير وفق الضوابط والأولويات الشرعية المدروسة والمطبقة عند العلماء.

المحاضرة السابعة
(معايير تصنيف الفرق الإسلامية و العوامل المساهمة في نشأة الفرق الإسلامية)

أولا: تصنيفها باعتبار الفرقة الأصلية
ثانيا : تصنيفها باعتبار الفرقة الفرعية
ثالثا: تصنيفها باعتبار الشخصية المركزية أو الفكرة
رابعا : تصنيفها باعتبار أصولها الكلامية
خامساً: تصنيفها باعتبار المسألة السياسية
سادساً: تصنيفها باعتبارات مختلفة :

١- العقل والنقل
٢ - الحرية والفعل الإنساني
٣ - الاعتقاد والعمل

العوامل المساهمة في نشأة الفرق الإسلامية

الأول: العوامل الداخلية

اولاً : عامل النص:
أ - القرآن الكريم

مسائل من متعلقات القرآن الكريم
١- المحكم والمتشابه
٢- مسألة المصطلح
٣- مسألة الموضوع
٤- مسألة الموقف
- التأويل (السلف والتأويل)
- المتشابه (و ضوابط التعامل مع المتشابه)
١ - عدم التفسير
٢ - عدم التأويل
٣ - الاحتراز من التصريف
٤ - الاحتراز من القياس والتفريع
٥ - الحذر من الجمع بين الألفاظ
(المعتزلة والتأويل)
(الأشاعرة والتأويل)
(رأي بعض المتأخرين)
قضايا القرآن القرآن الكريم

ب - السنة المطهرة
١ - حديث الافتراق
٢ - الأحاد والتواتر
(الحديث المتواتر)
(حديث الأحاد)
- الأحاد والمعتزلة
- الأحاد والأشاعرة
- التعامل مع محتوى النص العقدي في الحديث

ثانياً: عامل اللغة

أ - الحجة اللغوية
ب - الحقيقة والمجاز

ثالثاً: عامل النفس البشرية
رابعاً: المسائل التي حدثت في الأمة

١- مسألة الإمامة
- الخوارج
- الشيعة
- السواد الأعظم

٢- مسألة الإيمان
٣- مسالة مرتكب الكبيرة

خامساً: ميزة الانتشار

المبحث الثاني: العوامل الخارجية:

أولا: العناصر الوافدة على الدين الجديد :

- الموقف من الدين الجديد
- المجموعة التي أسلمت قلبا وقالبا
- مجموعة على بعض موروثها المناقض للدين
- المنافقون (طبيعة النفاق :
- العنصر النفسي
- العنصر الاجتماعي

ثانياً: الديانات السماوية :

١ - اليهودية
أ - التشبيه والتجسيم
ب - إنكار النسخ
ج - إنكار النبوة

٢ - النصرانية
أثرها في تنمية الفلسفة النقدية
٣- الديانات الوضعية:
- نقد الديانات الفارسية:

- صدور العالم ومسألة القدم
- وجود إلهين
- قدم النور والظلمة
- شمول القدرة
- الرد على الثنوية :
  - المانوية
  - المرقيونية
  - الديصانية
  - المجوس

ب - نقد الديانات الهندية :

- تناسخ الأرواح
- إنكار النبوة
- الرد على السمنية
- الفلسفة اليونانية
- قضايا فلسفية

المحاضرة الثامنة / (أدب الاختلاف في الإسلام)

ملخص كتاب : (ادب الاختلاف في الاسلام) للدكتور طه جابر العلواني . تلخيص الطالب :(كاوه احمد حسين)/ الطبعة الرابعة ١٩٩٢

نبذة عن المؤلِّف :

- الدكتور طه جابر العلواني
- ولد: ١٩٣٥ في العراق- الرمادي
- حصل على البكالوريوس والماجستير والدكتوراه في أصول الفقه في جامعة الأزهر ١٩٧٣
- ترأس جامعة قرطبة في أمريكا
- أسس المعهد العالمي للفكر الإسلامي مع الراحل اسماعيل الفاروقي، وترأس المعهد بعد اغتيال الفاروقي
- أسس قبل وفاته أكاديمية طه العلواني للدراسات القرآنية، ومن أهم كتبه (إشكالية التعامل مع السنة)
- توفي في مصر: ٢٠١٦

الفصل الأول : (حقيقة الاختلاف وما يتصل بها)

الاختلاف هو أن ينهج كل شخص طريقاً مغايراً للآخر في حاله أو قوله. والخلاف أعم من الضد.
وعلم الخلاف هو ما يمكن من حفظ الأشياء التي استنبطها إمام من الأئمة وهدم ما خالفها.
واذا اشتد اعتداد المخالفين على قول وحاول الدفاع عنه سمي جدلاً، وإذا اشتد خصومة المتجادلين سمي شقاقاً. وأصل الشقاق أن يكون كل واحد في شق من الأرض، فكأن أرضاً واحدة لا تتسع لهما، وفي التنزيل (وإن خفتم شقاق بينهما..) (النساء: ٣٥).

المقبول والمردود من الاختلاف:

خلق الله الناس بعقول ومدارك متباينة، إلى جانب اختلاف الألسنة والألوان، وكل تلك الأمور تفضي إلى تعدد الآراء والأحكام.

فوائد الاختلاف المقبول:

١- يتيح التعرف على جميع الاحتمالات.
٢- وفي الاختلاف رياضة للأذهان وتلاقح للآراء وفتح مجالات التفكير.
٣- تعدد الحلول أمام صاحب كل واقعة.

أقسام الخلاف من حيث الدوافع:

١- خلاف أملاه الهوى: وهو ما يكون وليد رغبات نفسية أو بدافع رغبة التظاهر بالفهم، وهذا النوع من الخلاف مذموم بكل أشكاله.
٢- خلاف أملاه الحق: فمخالفة أهل الإيمان لأهل الكفر والإلحاد خلاف واجب.
٣-خلاف يتردد بين المدح والذم: وهو خلاف في أمور فرعية.

الفصل الثاني : (تاريخ الاختلاف وتطوره)

معالم أدب الاختلاف في عصر النبوة :

١- كان الصحابة رضوان الله عليهم يحاولون ألا يختلفوا ما أمكن.
٢- إذا وقع الاختلاف رغم تحاشيه سارعوا في رد الأمر المختلف فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله.
٣- تصويب رسول الله للمختلفين في كثير من الأمور.
٤- الالتزام بالتقوى وتجنب الهوى.
٥- التزامهم بأدب الإسلام من انتقاء أطايب الكلام وتجنب التجريح مع حسن الاستماع.
٦-تنزههم عن المماراة ما أمكن وبذلهم أقصى أنواع الجهد في موضوع البحث، واحترام الطرف الآخر واتباع الرأي الأفضل.

اختلاف الصحابة:

اختلف الصحابة رضي الله عنهم في عهد رسول الله كما اختلفوا بعد وفاته، ولكن كان لاختلافهم أسباب وآداب. ومما اختلفوا فيه:

١- اختلافهم في وفاة رسول الله ودفنه (ﷺ).
٢- اختلافهم في خلافة رسول الله (ﷺ)
٣- اختلافهم حول قتال مانعي الزكاة.
٤- اختلافهم في بعض المسائل الفقهية.

الاختلاف في عهد الخلافة الراشدة:

١- كانوا يتحاشون الاختلاف ويحرصون كل الحرص على عدمه.
٢- وحين يكون للخلاف أسبابه مثل وصول سنة لأحدهم لم تصل للآخر أو اختلافهم في فهم النص، فقد كانوا وقافين عند الحدود ويسارعون للاستجابة للحق والاعتراف بالخطأ، كما كانوا شديدي الاحترام لأهل العلم والفضل والفقه منهم.
٣- اختلفوا في مسائل الفروع، لم تكن المسائل الاعتقادية مما يجري فيه الخلاف.
٤- كان الصحابة قبل خلافة عثمان منحصرين في المدينة فكان يتحقق اجماعهم.
١- كانت نظرتهم إلى استدراكات بعضهم على بعض على أنها معونة الأخ لأخيه.

أثر الخلاف السياسي في الاختلافات الفقهية والاعتقادية:

الاختلافات السياسية التي أعقبت فتنة عثمان وانتقال الخلافة إلى الكوفة ثم إلى الشام، أدخلت إلى دائرة الاختلافات أموراً، وساعدت على انطواء كل بلد على ما وصلهم من سنة رسول الله. ونشأ في العراق التشيع وظهرت الجهمية والمعتزلة وانتشر الخوارج، وبدأ وضع الحديث وتأليف القصص ذات المغزى السياسي.

وهذه الأمور أدت إلى ظهور مدرستين حيال السنة والفقه، مدرسة العراق ومدرسة الحجاز. ومع أن الخلاف قد احتدم بين المدرستين وجرى تبادل النقد بين الفريقين، إلا أن أيا منهما لم يتخل عن أدب الاختلاف، فلا تكفير ولا تفسيق ولا اتهام بابتداع منكر ولا تبرؤ.

الفصل الثالث (اختلاف مناهج الأئمة في الاستنباط)

يعتبر الأئمة الثلاثة مالك والشافعي واحمد رحمهم الله فقهاء حديث وأثر، فهم الذين تلقوا فقه أهل المدينة، أما الإمام أبو حنيفة رحمه الله فهو وارث فقه أهل الرأي مع إيمانه الراسخ بالأثر.

اتفق الأئمة الأربعة في أصول الاستنباط وهي الأخذ بكتاب الله وسنة رسوله. لذا فهنا نركز على ما اختلفوا فيه:

فأسباب الإختلاف النوعي لدى ائمة المذاهب الأربعة :

١- منهج الإمام أبي حنيفة رحمه الله :

قطعية دلالة العام كالخاص، مذهب الصحابي على خلاف العموم مخصص له، كثرة الرواة لا تفيد الرجحان، عدم قبول الخبر الواحد فيما تعم به البلوى، إذا خالف الراوي الفقيه روايته فالعمل بما رأى لا بما روى، تقديم القياس الجلي على خبر الواحد المعارض له.

٢- منهج الإمام مالك رحمه الله:

الاخذ بنص الكتاب العزيز، ثم بظاهره وهو العموم، ثم بدليله وهو مفهم المخالفة، ثم بمفهومه وهو مفهوم الموافقة. ثم الاجماع، ثم القياس، ثم عمل أهل المدينة، ثم الاستحسان، ثم الحكم بسد الذرائع، ثم المصالح المرسلة، ثم قول الصحابي، ثم الاستصحاب، ثم شرع من قبلنا.

٣- منهج الإمام الشافعي رحمه الله:

- يرى القرآن والسنة سواء في التشريع. فلا يشترط في الحديث شرطاً غير الصحة والاتصال لأنه أصل.

- رفض الاستحصان والمصالح والمرسلة وأنكر الاحتجاج بعمل أهل المدينة.
- أنكر الاحتجاج بقياس لا يقوم على علة غير منضبطة.

٤- منهج الإمام احمد بن حنبل رحمه الله:
- لا يقدم على الحديث الصحيح المرفوع شيئاً من عمل أهل المدينة أو الرأي أو القياس أو قول الصحابي أو الاجماع القائم على عدم العلم بالمخالف.
- إذا لم يجد في المسألة نصاً انتقل إلى قول الصحابة، ولم يقدم عليه عملا ولا رأياً.
- فإذا اختلف الصحابة تخيّر من أقوالهم أقربها إلى الكتاب والسنة.
- يأخذ بالحديث المرسل والضعيف ضعفاً منجبراً ولا اثرا يدفعه أو قول صحابي أو اجماعاً يخالفه، ويقدمه على القياس.
- القياس عنده دليل ضرورة يلجأ إليه حين لا يجد واحداً من الأدلة المتقدمة.
- يأخذ بسد الذرائع.

الفصل الرابع (أسباب الاختلاف وتطوره)

أسباب الاختلاف من عهد النبوة حتى عهد الفقهاء:

الاختلاف أمر طبيعي، وكان الاختلاف بين الصحابة أمراً واقعاً وليس في نفيه ما يخدم هذا الدين. وقد انتهينا إلى أن أسباب الاختلاف في مجموعها لا تخرج عن تباين في فهم النص لأسباب لغوية أو اجتهادية، وسرعان ما تضمحل هذه الاختلافات بلقاء الرسول ﷺ .
ومنذ مقتل عثمان اتسعت دائرة الاختلافات وظهرت مدرستا الكوفة والبصرة، وتعددت المناهج العقلية والفكرية بتعدد الفرق، وأصبح لكل فرقة منطلقات وقواعد في تعاملها مع نصوص الشارع.

ولذلك كان الاختلاف مشروعا لتوفر أمرين فيه:
الأول: أن لكل من المختلفين دليلاً يصح الاحتجاج به.
الثاني: ألا يؤدي الأخذ بالمذهب المخالف إلى محال أو باطل. وبهذين الأمرين يغاير الاختلاف الخلاف.

أسباب الاختلافات الفقهية في عصر الفقهاء:

١- أسباب تعود إلى اللغة، كالاشتراك والمجاز وصيغ الامر وغيرها.
٢- أسباب تعود إلى رواية السنن:
٣- أسباب تعود إلى القواعد الأصولية وضوابط الاستنباط.

الاختلاف بين الائمة و ادابه (الاختلاف بين الائمة):

لقد اختلف الائمة في كثير من الامور الاجتهادية، كما اختلف الصحابة و التابعون قبلهم. وهم جميعا على الهدى ما دام الاختلاف لم ينجم عن هوى او شهوة او رغبة في الشقاق.
ومع ذلك لم يمنع ان يصلي بعضهم خلف بعض كما كان ابو حنيفة و اصحابه و الشافعي واخرون يصلون خلف ائمة المدينة من المالكية و غيرهم، ولو لم يلتزموا بقراءة البسملة لا سرا ولا جهرا.
ان هناك كثير من المناظرات العلمية الدقيقة المليئة بادب الاختلاف حفلت بها كتب التراجم و التاريخ و المناظرات و نحوها ، و لا يكاد المرء يفتقد ادب الاختلاف بين اهل العلم الا بعد شيوع التقليد و ما رافقه من تعصب و تعثر في سلوك اهل العلم .
جدير بالذكر ان هناك اختلاف كبير بين ابي حنيفة و مالك رحمهما الله و الاسس التي يعتمدها كل منهما فيما يخص مذهبه . و لكن هذا لم يمنع رغم فارق السن التي بينهما ان يجل الواحد منهما صاحبه، و ان يكون على جانب كبير من الادب مع اختلاف مناحيهما في الفقه.
و من جهة اخرى يعتبر محمد بن الحسن من ابرز اصحاب ابي حنيفة . و هو مدون مذهبه رحل الى مالك و لازمه ثلاث سنين و سمع منه الموطأ.
كان شعبة بن الحجاج اميرا للمؤمنين في الحديث . و ابو حنيفة من اهل الرأي بالمكانة التي عرفنا و رغم تباين منهجيهما فقد كان شعبة كثير التقدير لابي حنيفة ، تجمع بينهما مودة و مراسلة .
و هكذا لم يكن الاختلاف و تباين الاراء يمنع احدا من الاخذ بما يراه حسنا عند صاحبه ، و ذكر فضله في هذا و نسبة قوله اليه .
و كان الشافعي حين يحدث عن احمد لا يسميه تعظيما له بل يقول حدثنا الثقة من اصحابنا او انبأنا الثقة او اخبرنا الثقة .
و الاختلاف الذي تعرضنا لبعض جوانبه سابقا .و المحنا الى ما كان من رجاله من اداب رفيعة هو الاختلاف الذي وضع الكاتبون كتبهم في اسباب اختلاف الفقهاء قديما و حديثا ، اما الخلاف الذي تلا تلك القرون الخيرة فهو خلاف من نوع اخر ، كما ان له اسبابا اخرى مختلفة .

الفصل الخامس : الخلاف بعد القرون الخيّرية الثلاثة وآدابه

أسباب الاختلاف اليوم (عصرنا الراهن) :

انتهت حالة الأمة بعد القرون الخيرة إلى فصام نكد بين القيادتين الفكرية والسياسية، ثم غفت الأمة في أحضان التقليد ونامت على أحلام ماض مجيد، وأصبحت اليوم تواجه التحدي المقيت (الاختلاف)، فبدأنا نرى شباباً ينتسبون إلى السلفية وآخرون إلى أهل الحديث وفريقاً ينتسبون إلى المذهبية وآخرين يدعون اللامذهبية، وبين هؤلاء وأولئك تتبادل الاتهامات من التكفير والتفسيق والنسبة إلى البدعة والانحراف والعمالة.

وإذا كان للأئمة المجتهدين أسباب تبرر اختلافهم، فإن أرباب الاختلاف المعاصرين لا يملكون أسباباً معقولة للاختلاف. ومن أبرز أسباب الاختلاف اليوم بين المسلمين هو الجهل بالإسلام أو العلم الناقص به.

الخاتمة في أدب الاختلاف و سبيل النجاة من التفرقة:

إن سبيل النجاة من الاختلاف التضادي وتحويله إلى الاختلاف النوعي هو الأخذ بتلكم النقاط والمباديء الآتية :

١- على المخلصين أن يختاروا أذكى أبناء الأمة ليدرسوا على أيدي القلة القليلة من علماء الشريعة.
٢- تعديل المسار الفكري لدى المسلمين بحيث تعالج الأزمة الفكرية.
٣- أهمية إدراك الشباب المسلم التزود من أدوات الاستنباط وإتقان العربية وعلوم العصر.
٤- التنبيه على أن الشريعة نزلت لتسعد بها الناس ولمصلحتهم في الدنيا والآخرة، وأن من لم يحط بكليات الشريعة ومقاصدها فلن يستطيع رد الجزئيات والفروع إلى الكليات. وأن الناس مختلفون، لكل زمان تدبيره.
٥- أن يدرك الجميع أن وحدة صف المسلمين ونبذ كل ما يسيء إليها من أهم الواجبات.
٦- ما يساعد على تقليل أسباب الاختلاف والتحلي بآدابه معرفة أسباب اختلاف الفقهاء.
٧- وما يبعث على التحلي بأدب الاختلاف معرفة المخاطر والخطط الماكرة لاعداء الإسلام.
٨- قبل هذا وبعده لا مناص من التزام تقوى الله في السر والعلن وابتغاء رضاه في حالتي الوفاق والخلاف .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين....

المحاضرة التاسعة /

وحدة الأمة الإسلامية - منهج الإمام النورسي ووحدة الأمة

(الإمام سعيد النورسي الكوردي أنموذجا)

من عناوين البحوث العلمية المقدّمة في المؤتمر الدولى المنعقد في القاهرة – مصر حول (وحدة الأمة) والمعنون ب (فكر الإمام النورسي وأثره في وحدة الأمة الإسلامية) تحت رعاية الأزهر الشريف و مؤسسة أسطنبول للثقافة والعلوم ، والذي شارك فيه :

- (٧٠) سبعون أكاديمياً من الأساتذة والدكاترة في الجامعات العالمية.
- وقدّم وشارك (١٠) شخصيات إسلامية عالمية بالكلمات والتقريظات العلمية الهادفة.
- وعرض وطبع (٥٥) بحثاً أكاديمياً من جامعات (١١) دولة، وانعقد بمصر بتاريخ ٢٧-٢-٢٠١٣ ، وقد طبع الكتاب سنة٢٠١٣ ، وبلغ عدد صفحاتها (٨٦٠) صفحة .

فمن تلكم المباحث المقدّمة :

١) أثرفكر بديع الزمان في وحدة الأمة الإسلامية : مصر : د. محمد أحمد جاد قحيف
٢) الأخذ بتعدد الحق في المذاهب الفكرية والفقهية وإزالة أسباب الاختلاف: مصر : أنوار محمد عثمان
٣) أسباب الاختلاف وآثاره السيئة بين وحدة الامة في فكر الإمام : مصر د. محمد حمدان
٤) أسباب غياب الوحدة الإسلامية: مصر : أشرف عبد الرافع
٥) إشكالية التوكل والأخذ بالأسباب في رسائل النور.. العراق : أ.د. أسامة عبد المجيد العاني
٦) الإصلاح التربوي في رسائل النور للنورسي سعياً لبناء المؤمن الكامل . العراق : . د. وفاء رفعت نور الدين العزي

٧) إعادة بناء الفرد المسلم وإشعاره بمسؤليته : السودان : أحمد عبد الجليل النذير محمد
٨) الإمام النورسي وعالمية دعوته للوحدة الإسلامية...: مصر : خديجة النبراوي
٩) الأهداف والغايات التي سعى سعيد النورسي لتحقيقها: أثيوبيا : أ. د. محمد تاج عبد الرحمن العروسي
١٠) الأهداف والغايات الوحدوية التي سعى إليها سعيد النورسي لتحقيقها : إثيوبيا أ.د محمد تاج عبدالرحمن العروسي
١١) الإيمان .. حلا للمشكلات الإنسانية.. مقاربة مفهوماتية..: العراق : د. ديوالي حاجي شلي
١٢) الإيمان التحقيقي والإسلام التطبيقي الجزائر: عامر ولد سعد سعد الإيمان التحقيقي
١٣) الإيمان وأثره في بناء المؤمن الكامل (قراءة في رسائل النور). مصر : د. علي أحمد التجاني
١٤) الإيمان ودوره في محاسبة النفس في رسائل النور.. : العراق : د. كاظم موسى محمد الطائي
١٥) بديع الزمان النورسي وأثره في وحدة الامة : مصر: فريد إبراهيم إسماعيل
١٦) التزكية وتدبير الخلاف وأثرهما في وحدة الأمة عند الإمام بديع الزمان النورسي .. المغرب : أ.د. عبد الكريم عكيوي
١٧) تشريح مصطلح الأنانية كمعوق رئيس في تفتيت جهود الوحدة الإسلامية مقاربة مع الرسائل : السودان د. حسن عبد الله النيل
١٨) تصنيف معوقات الوحدة الإسلامية وعلاجها من خلال كليات رسائل النور : مصر : أ.م محمد حسيني موسى الغزالي
١٩) التعاون الفردي والجماعي في فكر النورسي... : مصر : د. محمد أبو ليلة
٢٠) تغلب الأنا الذاتي على العمل الجماعي (حب الظهور). : السودان: السموال الجار و وقيع الله الحسن
٢١) توحيد القلوب في رسائل النور رؤية أصولية فقهية.. العراق: د. أميد نجم الدين جميل المفتي
٢٢) خارطة طريق نحو الإتحاد الإسلامي من قبسات رسائل النور لبنان : إيمان على لاغا
٢٣) سعادة الأمة الإسلامية في وحدتها من خلال رسائل النور. الجزائر : تومي وهيبة
٢٤) سعيد النورسي الثائر والسياسي: مصر : محمود الشربيني - المحامي
٢٥) سعيد النورسي وتشخيصه لأهم أمراض الأمة التي تحول دون قيام الوحدة الإسلامية العراق: د. آزاد سعيد سمو
٢٦) العبادات وأثرها في بناء الفرد وإشعاره بالمسؤلية تجاه وحدة الصف والترابط والإخاء مصر : د. أمل أبو الوفا أبو المجد
٢٧) علاج أهم المشكلات السياسية والاقتصادية في العالم الإسلامي من خلال الرسائل مصر د. محمد سعد قاسم
٢٨) العمل الإيجابي البناء لإعلاء كلمة الله أو الجهاد عند النورسي.. مصر : د. محمد عبد اللطيف
٢٩) العمل الإيجابي وأثره في وحدة الأمة الإسلامية من منظور رسائل النور السعودية: د. عبد الرزاق بن أحمد
٣٠) العمل الإيجابي وأهميته في حياة المسلمين.. الجزائر : د. عمار جيدل -
٣١) العمل الإيجابي ومنزلته في دعوة النور: الأردن : د. مأمون جرار
٣٢) العنصرية والقومية السلبية وأثرهما على الدولة الإسلامية من خلال كليات رسائل النور: مصر: د. منى حندقها
٣٣) فكر الوحدة أن خلال أفكار النورسي والشاعر محمد عاكف. .. تركيا : أبو زر قاليون
٣٤) الفهم الخاطئ للقضاء والقدر والتوكل : مصر : إبراهيم نجيب إبراهيم
٣٥) قاعدة (الفناء في الإخوان) دراسة تأصيلية مقاصدية للوحدة في فكرالإمام النورسي: العراق : د. فرهاد الشوان
٣٦) المجتمع الإنساني بين التعايش والصراع - رؤية نورية .. ماليزيا : آماد كاظم محمد صالح
٣٧) المحافظة على مقاصد الشريعة علما وعملا ، تطبيق التكاليف العملية : مصر : أ.د. عبد التواب سيد محمد إبراهيم
٣٨) مركزية مفهوم الوحدة في فكر الإمام بديع الزمان النورسي: السودان : د. عمر الخير
٣٩) المشكلات وكيفية التغلب عليها من منظور رسائل النور : مصر : د. محيي الدين عفيفي
٤٠) مصادر التلقي للوحدة في فكر النورسي بين النظرية والتطبيق من خلال التفسير القرآني العراق: د.حيدر خليل الخالد
٤١) معالجة رسائل النور للنزاع بين أهل السنة والشيعة : العراق : ا. م. فرست مرعي
٤٢) مفهوم الأمة ا الإسلامية من خلال كليات رسائل النور. مصر : محيي الدين صالح
٤٣) مفهوم الأمة الإسلامية من خلال كليات رسائل النور.. اليمن : د . نجيب علي عبد الله السودي
٤٤) مفهوم الأمة الإسلامية من خلال كليات رسائل النور: مصر : أ. د. رأفت غنيمي الشيخ
٤٥) مفهوم الأمة الإسلامية ودلالاته من خلال كليات رسائل النور: مصر :أسامة أبو العباس عبد الحليم شهوان
٤٦) مقومات الوحدة الإسلامية في فكر الإمام النورسي .. مصر : ا. د. جمال رجب سيد بي
٤٧) منطلقات النورسي نحو الوحدة الأمة الإسلامية : مصر : أ.د زينب عفيفي شاكر.
٤٨) موقف النورسي من الغزو الثقافي وحداثة المدنية الغربية : العراق: ا. د. فارس عبد الله بدر
٤٩) موقف بديع الزمان النورسي من مسألة التصويب وتعدد الحق(دراسة تأصيلية). الأردن : صفوان محمد عضيبات
٥٠) نحو الاتحاد الإسلامي ولكن؟ مصر: أ. م هدى عبدالحميد زكي محمد
٥١) نموذج الفرد المؤمن : مصر : م. د. وجبهة محمد المكاوي
٥٢) النورسي مرجعا لنهضة جديدة إسقاطات على نظرية الدورة الحضارية.. الجزائر : عادل صياد
٥٣) الوحدة الإسلامية الإطار والمظهر.. مصر : د. عفاف ربيع ذكي حسين
٥٤) وحدة الأمة استنادا للمقاصد العامة للشريعة الإسلامية : سوريا : د. ماهر الهندي
٥٥) وحدة الامة الإسلامية (الإطار والمظهر) : مصر : محمد موسى السيد عبدالرزاق

- ولد الإمام النورسي في قرية «نورس» في سنة ١٨٧٧م، ومات في أورفة» في سنة ١٩٦٠م عن عمر ناهز ٨٣ عاما، .
- وهذه فترة تعد من النقاط الفارقة فى حياة المسلمين فقد تحركت أوروبا لاحتلال بلادنا وأخذ خبراتها حتى يبنوا بها بلادهم وهدموا الخلافة وصنعوا تقسيمها جعلونا دولا بعد أن كنا ا دولة واحدة، وأمة واحدة، والأمر مستمر، والدعوة إلى التقسيم مستمرة .
- فبعد أن أصبحت دول العالم أكثر من مائتي دولة فإن الخريطة الجديدة تريد أن تجعلها أربع مئة دولة، ومحور الإسلام من طنجة» إلى «جاكرتا» و «غانا» إلى «فرغانا» فيه ست وخمسون دولة وهو المقصود بأن يتحول لتمام العدة، وعلى ذلك فهم يريدون أن يقسموا كل بلد من بلادنا إلى أربعة أجزاء.
- قد كان ظهور الله الدعوة الإسلامية بدو وكانت حياة هذا العالم والطلاب إلى أن فارق شغله كله بالكتابة والله الانماء الإسلام وأن يحـ على الكاره في السجن.
- وهذه صرخة من القاهرة واسطنبول تحيي مرة أخرى ما تنبه إليه الإمام النورسي في الدعوة إلى الرجوع إلى الله بالذكر والفكر، فمصادره كانت كتاب سيدي عبد القادر الجيلاني، القادري، وإليه تنسب القادرية، وسيدي المجدد الف الثاني السرهندي، الفاروقي النقشبندي في كتابه المكتوبات .
- إن الصفاء الذي دعا إليه النورسي إنما من أجل أن يردنا إلى مرتبة الإحسان تزلزل الإسلام، وتزلزل الإيمان والعودة إليهما من الإحسان نبه الإمام النورسي إلى أهمية الاجتهاد وأنه لا بد أن يكون من الداخل حتى لا يكون ظاهرة صوتية، وله رسالة في الاجتهاد صغيرة تكتب بالعبر على أعماق البصر.
- رحم الله النورسي لم يتركوه في مقامه ومكانه فنبشوا قبره وأخذوا جثمانه بعد أربع أشهر من الدفن؛ لأنهم خافوا منه ميتا كما خافوا منه حيا، وكل ذلك كان يقابل من طلابه بالسلم بالكلمة، بالعقيدة، بالتعلق بالله سبحانه وتعالى. وكان النورسي حس من ألوان المعرفة، كان بمجلدات عديدة تحت .
- واستطاع بجدارة ترجمت مؤلفاته الكامل اليبال كتاب الله وب مير من قدم الى النت بديع الزمان وهو في شه لرجاء من علماء الشام والمستمعوا إليها في طلقة
- إن أمثال هؤلاء حجة علينا في الدنيا والآخرة، قليل الكلام يغني عن كثيره، فاللهم يا ربنا احشرنا تحت لواء نبيك يوم القيامة واسقنا من يده الشريفة شربة ماء لا نظما بعدها أبدا، وألف بين قلوبناء وانقلنا من دائرة سخطك إلى دائرة رضاك.

مختارات من كلمة (الأستاذ. د. صلاح سلطان) الأمين العام المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية

إن لرسائل النولر المسمى بـ(المناظرات واللمعات والإخلاص والأخوة وإشارات الإعجاز)، هذه الموسوعة التي تركها ونحن اليوم في القاهرة في مصر الجديدة تعاونا مع تركيا نساهم في إحياء هذا الفكر أملا - أن يكون قاعدة الإنطلاق للوحدة الإسلامية: (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) عندما يقرأ لبديع الزمان فكره يغذي هذه النقاط العشر كلها :

١- الانتقال من زيارة المساجد لعمارتها.
٢- الانتقال من القراءت العشوائية للدراسات المنهجية.
٣- الانتقال من الفرقة والاختلاف إلى الوحدة والائتلاف.
٤- الانتقال من العصبية الذميمة إلى الأخوة الحميمة
٥- الانتقال من فكر الفتاوى الفردية إلى فقه المجامع الفكرية.

٦- الانتقال من فكر الاعتداء والاعتزال إلى التعايش والاعتدال.
٧- الانتقال من احتكار الرجال للأنشطة الدعوية إلى مشاركة المرأة مع الالتزام بالضوابط
٨- الانتقال من العزوبة الحارقة إلى الزوجية الرائقة.
٩- الانتقال من الفقر والمسكنة إلى الغنى والمرحمة.
١٠- الانتقال من ردود الأفعال العشوائية إلى الخطط المستقبلية.

من هذه النقلات العشر أتمنى في الدرسات العليا لعلمائنا ولإخواننا وأخواتنا أن نتجه إلى قراءة موسوعية لهؤلاء العلماء في الأمة الإسلامية.

قد نرى علمائنا الأجلاء مثل الشيخ أبو الحسن علي الندوي وأبو الأعلى المودودي وسعيد النورسي وابن باديس ومالك بن نبي وحسن البنا والسيد قطب وابن باز الذين ملئو الدنيا علما ومناهج لوحدة الأمة التي تقوم على التزكية الإيمانية لتحقق مراد الله الذي ذكر ثلاث مرات في آيات القرآن (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ).....والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مفهوم الأمة الإسلامية ودلالاته من خلال كليات رسائل النور

أسامة أبو العباس عبد الحليم شهوان / خبير اللغة العربية والتربية الإسلامية / مصر .

إن (كليات رسائل النور) :

- لا تعمر تخريبات جزئية، ولا ترمم بيتاً صغيراً مهدماً، بل تعمر أيضا تخريبات عامة كلية، وترمم قلعة عظيمة، صخورها كالجبال، تحتضن الإسلام وتحيط به.
- وهي: لا تسعى لإصلاح قلب خاص ووجدان معين، بل تسعى أيضاً – وبيدها إعجاز القرآن الكريم - لمداواة القلب العام المجروح، وضماد الأفكار العامة المكلومة بالوسائل المفسدة التي هيئت لها، وركمت منذ ألف سنة، وتنشط المداواة الوجدان العام، الذي توجه نحو الفساد، نتيجة تحطم الأسس الإسلامية، وتياراته وشعائره، التي هي المستند العظيم للجميع (١) .
- وفي ظل هذه الظروف الحرجة التي تمر بها الأمة الإسلامية؛ حيث تتداعى عليها الأمم طمعاً في الإجهاز عليها، والحيلولة بينها وبين إمكانات الاتحاد والتعاون والتساند، من أجل النهوض الحضاري مرة أخرى، وجب علينا أن نتناول (مفهوم الأمة الإسلامية ودلالاته، من خلال كليات رسائل النور)،
- لما في هذا الموضوع من تذكير لأبناء الأمة الإسلامية بخيريتها، ووسطيتها، وشهادتها على الناس، وذلك من أنجح الوسائل في إنماء روح الأمة وبعثها، وإعادة الثقة بنفسها إليها، ومنحها الأمل بأن موقعها الشاغر ما يزال في انتظارها ؛ فلا أحد غيرها يستطيع ملان حيث لا تحمل أية أمة من الأمم الأخرى، مثل الخصائص التي تحملها، ولا تملك امة من الأمم مثل المزايا التي تملكها .
- ولذلك، فإن تناولي الموضوع [مفهوم الأمة الإسلامية ودلالاته من خلال كليات رسائل النور قائم على ثلاثة محاور، والثالث منها يتضمن ثلاثة مباحث، ثم الخاتمة.

المحور الأول: معنى الأمة في القرآن الكريم.
- المحور الثاني : مفهوم الأمة الإسلامية في رسائل النور.
- المحور الثالث : دلالات مفهوم الأمة الإسلامية في رسائل النور.
المبحث الأول: خصائص الأمة الإسلامية ومميزاتها.
المبحث الثاني: مفاهيم مرفوضة في سياق مفهوم الأمة الإسلامية.
المبحث الثالث: وسائل حفظ مقومات الأمة وحمايتها.
المحور الأول : معنى الأمة في القرآن الكريم

- إذا كانت رسائل النور «برهاناً باهراً للقرآن الكريم، وتفسيراً قيماً له، وهي لمعة براقة من لمعات إعجازه المعنوي، ورشحة من رشحات ذلك البحر، وشعاع من تلك الشمس، وحقيقة ملهمة من كنز علم الحقيقة، وترجمة معنوية من فيوضاته، فإنه ينبغي علينا أن نعود إلى القرآن الكريم لنبحث عن مصطلح «الأمة» ذلك المصطلح الذي ولد مع غيره من المصطلحات بميلاد الرسالة الإسلامية، مثل مصطلح «الصلاة»، و «الزكاة»، و «الإيمان»، و «الجهاد»، وهكذا.

والأمة تعني - لغويا - : جماعة من الناس أكثرهم من أصل واحد، وتجمعهم صفات موروثة ومصالح وأماني واحدة، أو يجمعهم أمر واحد من دين، أو مكان، أو زمان (٣).

وأما المعنى الاصطلاحي، فقد تكررت الإشارة في القرآن إليه، ليدل على معان عديدة، أهمها:

المعنى الأول: إنسان يحمل رسالة لغيره من البشر، تلك الرسالة التي يشير إليها القرآن الكريم وبالنسبة للإنسان:

- فقد يكون فرداً واحداً، مثل الإشارة إلى إبراهيم عليه السلام في قوله عز وجل : (إِنَّ إِبْرَهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (سورة النحل : ١٢٠)
- وقد يكون الإنسان جماعة من العلماء الدعاة العاملين بدعوتهم، الحاملين رسالة إصلاحية، مثل قوله تعالى :وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ) آل عمران : ١٠٤) .
- وقد يكون الإنسان طائفة أو قبيلة لها معتقدها ومنهجها، مثل قوله تعالى ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ ﴾ (الأعراف : ١٦٨).
- وقد يكون الإنسان جيلاً له فكر واحد ولون حضاري واحد، مثل قوله عز وجل تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَا كَسَبْتُمْ ﴾ (البقرة: ١٣٤).
- وقد يكون الإنسان مجموعة متميزة بالتزامها مبادئ رسالة التوحيد، مثل قوله تعالى كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) (سورة آل عمران: ١١٠).
- وقد يتسع مفهوم الإنسان حتى يشمل الإنسانية كلها، إذا اجتمعت على فكرة واحدة، ومنهاج واحد، مثل قوله عز وجل : ﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا) (سورة يونس: ١٩).

- المعنى الثاني: وكذلك ورد مصطلح «أمة» ليعني منهاج حياة، وما يتضمنه هذا المنهاج من معتقدات وقيم، وممارسات وتتقاليد، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى ءَاثَارِهِم تُهْتَدُونَ) (الزخرف : (٢٢) ، أهمها:

- المعنى الثالث: فقد ورد مصطلح «أمة» ليعني مجموعة من الناس لها مهنة واحدة مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ) (القصص : ٢٣).
- المعنى الرابع: حيث ورد مصطلح «أمة» ليعني فترة زمنية، مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنَ أَخَّرنا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ) (هود : ٨).

المعنى الخامس: فقد ورد مصطلح «أمة» ليشير إلى جنس واحد، مثل قوله تعالى: (وما من تابو فِي الْأَرْضِ وَلَا طَهر يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أنا (الأنعام: (٣٨).

المثال الأول : فكر الإمام بديع الزمان سعيد النورسي وأثره في وحدة الأمة الإسلامية

أسامة أبو العباس

حينما ننعم النظر في هذه المعاني الاصطلاحية الواردة في القرآن الكريم نخرج بهذه الملاحظات حول مفهوم الأمة الإسلامية» في رسائل النور:

١- إن المعنى الاصطلاحي المتكامل للأمة، يتضمن أربعة عناصر : العنصر البشري، والعنصر الفكري، والعنصر الاجتماعي، والعنصر الزمني؛ فالأمة: مجموعة من الناس تحمل رسالة حضارية نافعة للإنسانية، وتعيش طبقاً لمبادئ هذه الرسالة، وتظل تحمل صفة «الأمة» ما دامت تحمل هذه الصفات.
٢- إن العنصر الرئيس في مفهوم الأمة «الرسالة»؛ أي العطاء الذي تقدمه جماعة من الناس إلى بقية مجموعات الإنسانية، ليساعد على بقاء النوع البشري ورقيه.
٣- لا يشترط في العنصر البشري الروابط الدموية، أو الجغرافية، ولا الكم العددي.
٤- - إن «الأمة» تتدرج في نشأتها ونموها، كتدرج نمو الجسد الإنساني؛ من نطفة ثم علقة، فمضغة إلى أن يبلغ النضج الجسدي والنفسي والعقلي، والأمة الراشدة هي التي تبلغ درجة الرشد الحضاري والنوعي.
٥- إن الأمة الراشدة لا ينال من وحدتها تنوع الشعوب والقبائل فيها، ما دامت هذه التنوعات لا تخرج عن وظيفتها في تسهيل التعارف، والانتماء للرسالة وحدها.

٦- إن الأمة كيان صناعي، يمكن بناؤه أو هدمه : فهي تخرج ! إخراجاً للقيام بوظيفة تبليغ حقائق الإيمان في مجالات الحياة المختلفة.
٧- إن استمرار الأمة في الحياة مرهون باستمرار حملها للرسالة، وما يتفرع عنها من تطبيقات
٨- إن سعة دائرة الأمة يحددها مدى التواصل والاتصال، الذي تحدده تكنولوجيا العصر؛ ففي هذا العصر الذي نحياه رسمت الرسالة الإسلامية للأمة دائرة تتسع للإنسانية كلها .

إن (الأمة الإسلامية) في كليات رسائل النور، تعني ذلك الكيان الجماعي الذي يرتكز في تماسكه على عقيدته إيمانية شاملة، ومصدرها رباني ومجالها كافة أوجه الحياة الدنيا فى منظور ممتد يصل بين الحياة الدنيا والآخرة لا يلقي بالفواصل بين أبعادها، ولا مجالاتها.

كما يوحي هذا الوعاء المعرفي النوري بأن (الأمة الإسلامية) :
" جماعة من الناس قد جمعتهم رابطة دينية جامعة، محورها الوحدانية والتوحيد، ورسالتها تبليغ حقائق الإيمان الموجودة في القرآن، وإنقاذ إيمان الإنسان في كل مكان، وقد توحدوا في شعور عام مشترك بالعزة والاعتزاز لانتمائهم لهذا التجمع، ولوصلهم بالعروة الوثقى، بكلمة الحق المتمثلة فى ذلك الدين القيم الحنيف".

ومن خلال هذا الوعاء المعرفى الممتد فى كليات رسائل النور، نلاحظ أن (بديع الزمان) عبر عن "مفهوم الأمة الإسلامية" في إطار وعائين جامعين لخصائص الأمة الإسلامي، وهوتها وهما:

أ- الاتحاد المحمدي (الاتحاد الإسلامي)
ب- الجمعية المحمدية (الجمعية المقدسة)

فالاتحاد المحمدي / الاتحاد الإسلامي:
يعرفنا (بديع الزمان) ماهية مفهوم الأمة الإسلامية قد أعلن :
" أن الإتحاد المحمدي الذي أعرفه/ وانضممت إليه، هو الدائرة المرتبطة بسلسلة نورانية ممتدة من الشرق إلى الغرب، من الجنوب إلى الشمال، فالذين ينضمون تحت رايتها يتج اوز عددهم ثلاثمئة مليون في هذا العصر، وإن جهة الوحدة والارتباط في هذا الاتحاد هو توحيد
الله وعهده هو الإيمان، والمنتسبون إليه جميع المؤمنين منذ الخليقة، وسجل أسماء أعضائه هو اللوح المحفوظ، وناشر أفكاره جميع الكتب الإسلامية، والصحف اليومية التي تستهدف إعلاء كلمة الله، ومحال اجتماعه ونواديه هي الجوامع والمساجد والتكايا والمدارس الدينية، ومركزه الحرمان الشريفان".

- فجمعية مثل هذه؛ رئيسها هو فخر العالمين سيدنا الرسول الكريم ﷺ ، ومسلكها ومنهجها مجاهدة كل شخص نفسه؛ أي التخلق بأخلاق الرسول الكريم ، وإحياء السنة النبوية، ومحبة الآخرين، وإسداء النصح لهم ما لم ينشأ منه ضرر.

والنظام الداخلي لهذا الاتحاد : السنة النبوية، وقانونه: الأوامر الشرعية ونواهيها، وسيوفه: البراهين القاطعة، حيث إن الظهور على المدنيين المثقفين إنما هو بالإقناع، وليس بالضغط والإجبار، وإن تحرى الحقيقة لا يكون إلا بالمحبة، بينما الخصومة تكون إزاء الوحشية والتعصب،
اما أهدافهم ومقاصدهم، فهي إعلاء كلمة الله، هذا وإن نسبة الأخلاق والعبادة، وأمور الآخرة والفضيلة، في الشريعة هي تسع وتسعون بالمئة، بينما نسبة السياسة لا تتجاوز الواحد بالثقة.

ب - الجمعية المحمدية الجمعية المقدسة: إن (بديع الزمان) يؤكد بوضوح وقوة على نفس المفهوم للأمة الإسلامية، وبأسلوب آخر حيث يقول : " أجل، نحن جمعية، تلك الجمعية التي لها ثلاثمائة وخمسون مليوناً من الأعضاء فى هذا العصر، وهم يؤكدون كمال احترامهم، وصادق ارتباطهم وتعلقهم بمبادئ تلك الجمعية المقدسة، بإقامة الصلاة خمس مرات يومياً، ويتسابقون في مدِّ يد العون والمساعدة بعضهم إلى بعض، سواء

بدعواتهم الشخصية عن ظهر الغيب، أم بمكاسبهم المعنوية الوفيرة، وفق الدستور الإلهي : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخوة) (الحجرات ١٠).
وهكذا فنحن أعضاء في تلك الجمعية المقدسة العظمى إذن، أما وظيفتنا ضمن نطاق هذه الجمعية، فهي تبليغ الحقائق الإيمانية التي يتضمنها القرآن الكريم، إلى طلاب الحق والإيمان، على أصح وأنزه وجه، إنقاذاً لأنفسنا وإياهم من الإعدام الأبدي، وبرزخ السجن الانفرادي السرمدي".

دلالات مفهوم الأمة الإسلامية في رسائل النور:
إن مفهوم الأمة الإسلامية في رسائل النور : يرتبط بشبكة واسعة، تعد بمثابة مجموعة أخرى من المفاهيم ذات البعد الإسلامي العميق؛ كالتوحيد، والدعوة إلى حقائق الإيمان، والشهود الحضاري، وغيرها من مفاهيم نستعرض أهمها، على أننا نؤكد إلى أنه يوم تفقد الأمة عنصراً من العناصر المرتبطة بهذه المفاهيم تفقد كونها أمة.

خصائص الأمة الإسلامية ومميزاتها:

١- أمة التوحيد والوحدة: فالوحدانية هي مصدر وحدة الأمة، وهي بمثابة طاقة توليد حيوية، ومفاعل الحركة لكيان بشري كوني في طور حياة متنامية مستمرة، حول قلب يشدها للاتحاد، والتماسك الذاتي، ويحفظ عليها كيانها الكلي المتميز، لذلك فإن التوحيد الإلهي هو جهة الوحدة في الاتحاد المحمدي، الذي هو حقيقة اتحاد الإسلام (الوحدة الإسلامية) .
ومن المؤكد أن(الإيمان بعقيدة واحدة) يستدعي حتماً: توحيد قلوب المؤمنين بها على قلب واحد، ووحدة العقيدة هذه تقتضي وحدة المجتمع» .
وهذه (العقيدة الإيمانية بحقائقها النورانية) هي : "أعظم ركيزة استناد للإنسان، وتضمن له الفوز المعنوية، والسلوان والسعادة» .
٢ - الإسلام مركزها وأساس قوتها ورقيها: فإن من البديهيات أنه لا هوية للأمة بغير الإسلامي فهو محور حياة الأمة، وروح وجودها، وسر بقائها، ومكون وحدتها، بل إن نقطة استنادنا نحل المصائب والدواهي، التي ألقت بثقلها العظيم، عظم الأرض، على العالم الإسلامي، هي الإسلام الذي يأمر بالاتحاد النابع من المحبة، وبامتزاج الأفكار الناشئ من المعرفة، وبالتعاون الذي تولده الأخوة) .

وأروع الحقائق وأعظم المسائل أنك لن تجد مثل الإسلام، إن تحريت الزمان والمكان. لا في الماضي ولا في المستقبل، إنه حبل الله المتين، يمسك الأرض لئلا تفلت، ويديرها دوراناً سنوياً ويومياً، فلقد وضع وقار ثقله على الأرض، وساسها وقادها، وحال بينها وبين النفور والعصيان .
كما أن سعادة الأمة، وأمنها وأمانها، لا يتحقق إلا بالإسلام؛ فلا سعادة لأمة الإسلام إلا بتحقيق حقائق الإسلام، وإلا فلا، ولا يمكن أن تذوق الأمة السعادة في الدنيا، أو تعيش حياة اجتماعية فاضلة إلا بتطبيق الشريعة الإسلامية، وإلا فلا عدالة قطعاً، ولا أمان مطلقاً؛ إذ تتغلب عنئذ الأخلاق الفاسدة، والصفات الذميمة، ويبقى الأمر معلقا بين الكذابين والمرائيين".

وختاماً، يؤكد (بديع الزمان) للأمة بكل ما يملك من قوة أنه: " لا رقي لنا إلا برقي الإسلام، الذي هو مليتنا، ولا رفعة لنا إلا بتجلي حقائق الشريعة.. فإن الإسلام هو الإنسانية الكبرى، تصورها أفلاطون). وإن الشريعة الغراء هي المدينة الفضلى، لذا فالعالم الإسلامي أهل ليكون المدينة الفاضلة التي تصورها أفلاطون".

٣- القرآن أساس مدينتها : فإنّ من خصوصيات الأمة الإسلامية، إضافة إلى ارتباطها بعقيلة التوحيد والإسلام ،و شريعته امتلاكها لمصدر إلهى رباني جامع مؤسس هو القرآن الكريم وفاعلم أن القرآن مؤسس لهذا الدين العظيم المتين، ولأساساته، وأساسات هذا العالم الإسلامي ومقلب الاجتماعيات البشر، وتحولها ومبدلها» .

وإن القرآن أنبت شجرة .. فانقلبت كل نوياته دساتير عملية، وأشجاراً مثمرة، تشكل وتركب هذا العالم الإسلامي بمعنوياته وأعماله؛ فأخذ منها كل الأفكار، فتصرف فيها إلى الآن، حتى صارت حقائقه العلوية العالية علوماً متعارفة ومسلّمات» .

ولما كانت مليتنا (وجوداً مستقلاً بذاته، روحها الإسلام، وعقلها القرآن والإيمان)، فإن أهم مقومات بناء مدنية هذه (الأمة القرآنية)، تقوم على أسس إيجابية تدور سعادتها على خمسة أسس إيجابية :

١- نقطة استنادها: الحق بدل القوة، ومن شأن الحق دائماً: العدالة والتوازن، ومن هذا ينشأ السلام، ويزول الشقاء.
٢- وهدفها : الفضيلة بدل المنفعة: وشأن الفضيلة المحبة والتقارب، ومن هذا تنشأ السعادة.
٣- دستورها في الحياة: التعاون بدل الخصام والقتال، وشأن هذا الدستور: الاتحاد والتساند اللذان تحيا بهما الجماعات.
٤- خدمتها للمجتمع: بالهدى بدل الأهواء والنوازع، وشأن الهدى الارتقاء بالإنسان، ورفاهه إلى ما يليق به، مع تنوير الروح ومدها بما يلزم.
٥- رابطتها بين المجموعات البشرية : رابطة الدين والانتساب الوطني، وعلاقة الصنف والمهنة، وأخوة الإيمان، وشأن هذه الرابطة أخوة خالصة، وطرد العنصرية والقومية السلبية.
وبهذه المدنية يعم السلام الشامل، إذ هو في موقف الدفاع ضد أي عدوان خارجي". .

رابعا: أمة الشهود الحضاري : إن موقع أي موقع الشهادة والخيرية والتركيه والتعليم، والقيادة انظر ! إنه يدعو إلى السعادة الأبدية، في صلاة كبرى شاملة، وفي عبادة رفيعة مستغرقة).
انه و يدعو طالباً السعادة لقصد عظيم ولغاية سامية، يطلبها لينقذ الإنسان والمخلوق جميعاً من الـ التردي إلى. هاوية أسفل سافلين، وهو الفناء المطلق، والضياع علين، وهو الرفعة والبقاء، وتقلد الواجبات، وتسلم المسئوليات؛ ليكون أهلاً لها، ويومي مرتبة مكاتيب صمدانية.
ومن هذا المنطلق، فإن موقع الأمة الإسلامية هو موقع الشهادة على الناس، وتعليم الان وتربيتها وتزكيتها، وإخراجها من الظلمات إلى النور، ودعوتها إلى حقائق الإيمان وهكنان أعضاء في تلك الجمعية المقدسة العظمى إدن، أما وظيفتنا في نطاق هذه الجمعية، فهي تدي الحقائق الإيمانية التي يتضمنها القرآن الكريم، إلى طلاب الحق والإيمان على أصبح وأثره وجد إنفاذاً لأنفسنا وإياهم من الإعدام الأبدي، ويورخ السجن الإنفرادي السرمدي .
أما الجهاد الخارجي، فنحيله إلى " السيوف الألماسية للبراهين القاطعة للشريعة العراء وليس بالإكراه، كما هو شأن الجهلاء الذين لا يفقهون شيئاً، فنحن فدائي المحنة، لا مكان بينا للخصومة ".
وفي الختام، يبين بديع الزمان أن الشهود الحضارى للأمة الإسلامية يحتم علينا، بل يأمرنا أمراً جازماً على كل و واحد منكم أن يكون مرآة عاكسة للإسلام، حامي ذماره، ومثالاً مشخصاً للأمة الإسلامية؛ إذ الهمة تتعالى بعلو المقصد، والأخلاق تتسامى وتتكامل بغليان الحمية الإسلامية ".
٥ - أمة هويتها جامعة بين الانتساب الإسلامي والقومية الإيجابية: فإن الوحدة بين الإسلام والقومية الإيجابية (بديع الزمان)، تتخذ مكانة في أعلى هرم الهوية الإسلامية. عند بديع الزمان فيؤكد على أننا " نحن معاشر المسلمين، الدين والمليّة عندنا متحدان بالذات، والاختلاف اعتباري، أي ظاهري عرضي، بل الدين هو حياة المليّة وروحها، فإذا ما نظر إليها بأنها مختلفان ومتباينان؛ فإن الحمية الدينية تشمل العوام والخواص، بينما الحمية الملية تنحصر في واحد بالمئة من الناس، ممن يضحي بمنفعته الشخصية لأجل الأمة".

ولقد زاد (بديع الزمان) الأمر توضيحاً وتوكيداً قائلاً للجميع: «إن الحمية الدينية، والملية الإسلامية، او الحمية الإسلامية هي أقوى وأمتن حبل نوراني نازل من العرش الأعظم؛ فهي العروة الوثقى لا انفصام لها، وهي القلعة الحصينة التي لا تهدم» .
وإن كان بديع الزمان قد عارض بشدة الدعوة إلى الهوية القومية، فإنه وضح في الوقت ذاته القوة الكامنة فى القومية الإيجابية، حين تكون تحت إمرة هوية الأمة الإسلامية؛ لأن القوم الإيجابية تابعة من حاجة داخلية للحياة الاجتماعية، وهي سبب للتعاون والتساند، وتحقق فوز نافعة للمجتمع، وتكون وسيلة لإسناد أكثر للأخوة الإسلامية.

هذا الفكر الإيجابي القومي، ينبغي أن يكون خادماً للإسلام، وأن يكون قلعة حصية الم وسوراً منيعاً حوله، لا أن يحل محل الإسلام، ولا بديلاً عنه؛ لأن الأخوة التي يمنحها الإسلام تتضمن ألوف أنواع الأخوة، وبهذه الهوية المتميزة، تصبح الأمة الإسلامية بؤرة جانية ومركز ثقل بشري حيوي، يشد إليه وحداته الداخلية، فرادى وجماعات دون أن يذيبها ليفقدها معالمها، كما أنه يجذب نحوه مفردات جماعية من خارج إطاره، ولذلك فإن الحكمة الإلهية التي ام العمال والموسة للقانون الأهلي النوراني الساري في أرجاء العالم كله، قد رفعت أصبع القدر منذ الأزل، تأمركم: حافظوا على الموازنة العامة، بتوحيد ومزج حميتكم وقوتكم الضائعتين بالتفرق، ضياع قطرات الماء المتناثرة، بالفكر الملي، أي الملة الإسلامية، مكونين بذلك جاذبة وطنية عظيمة من جاذبات الذرات الجزئية؛ فتنجذب هذه الكتلة العظيمة، وتدور كالكوكب المنير في موكب الجماهير المتحدة الإسلامية، الممثلة الشوكة شمس الإسلام العظيم .

بما أن الإسلام هو ركيزة الأمة الإسلامية، فهو الأقدر على تقديم الحل للمعضلات؛ لكونه الرابط بين مختلف المكونات، وأن أي إهمال طفيف فيه يؤدي إلى مفاهيم مرفوضة في سياق وحدة الأمة الإسلامية، وهذا ما أوضحه (بديع الزمان) عندما أعلن بجرأة واضحة: «ليست هناك رابطة حقيقية وقوية غير الإسلام، بين العرب والترك، والكرد والأرناؤوط، والجركس واللاز.
وإن إهمالاً طفيفاً في الدين أدى إلى إرساء قواعد ملوك الطوائف، وظهور جاهليات ماتت قبل ثلاثة عشر قرناً، وبالتالي إلى ظهور الفتن والقلاقل» .
فإن غياب الغاية الربانية ينتج الأنانية المدمرة، وإن لم تكن للجماعة غاية وهدف، فالأنانية تقوى، وإن لم يكن لفكر الجماعة غاية وهدف مثالي، أو نسيت تلك الغاية، أو تنوسيت، تحولت الأذهان إلى أنانيات الأفراد، وحامت حولها "

المثال الثاني:من البحوث المطروقة حول الوحدة الإسلامية من خلال رسائل النور :

العمل الإيجابي وأثره في وحدة الأمة الإسلامية

د. عبد الرزاق بن أحمد ظفر كلية التربية - جامعة أم القري مكة المكرمة - السعودية

- إن وحدة الأمة الإسلامية مطلبٌ رئيسي يدعونا إليه قول الحق سبحانه(وَاعْتَصِمُوا يقبل الله جميعاً ولا تفرقوا) (آل عمران : ١٠٣) ، ليعم التآلف والتآخي والتعاون والتساند بين الأفراد والمؤسسات ، ويتحقق مبدأ التعايش والتكامل بدلاً من الإقصاء والتنافر والتخاصم.
- إن الدرس الأخير الذي ألقاه الأستاذ النورسي قبل وفاته على طلبة رسائل النور، قد أسس قواعد رئيسية للعمل الإيجابي البناء حيث أشارإلى :
- أن وظيفتنا هي العمل الإيجابي البناء، وليس السعي للعمل السلبي الهدام ، والقيام بالخدمة الإيمانية ضمن نطاق الرضى الالهي، دون التدخل بها هو موكول أمره إلى الله مع التجمل بالصبر والتقلد بالشكر ، حفاظاً على الأمن والاستقرار الداخلي .

كما أشار الإمام النورسي إلى خمسة عوامل النجاح العمل الإيجابي يمكن تلخيصها في :

٢- الابتعاد عن الحاجات غير الضرورية المسببة للانشغال عن الأمور الضرورية .
٣- البعد عن مهاجمة العلماء ، والمصلحين ، وعدم استخدام القوة في هدم الجهاز المعنوي ..
٤- التجاوز عن أخطاء الآخرين .
٥- البعد عن الأنانية وحب النفس واشتهاء حياة جميلة مزخرفة .

٦- التركيز على الإخلاص التام والتضحية من أجل الإيمان .

ولإيضاح أهمية العمل الإيجابي فقد أشار البابا شنودة الثالث إلى أن: الحديث عن الأخطاء سهل أما العمل الإيجابي على علاج تلك الأخطاء فهو العمل الإيجابي البناء ، وأن الهدم عمل سهل ، أما البناء فيحتاج إلى مهارة ووقت ، أن العمل الإيجابي هو دائماً العمل المفيد وهو المقبول من الجميع ولا يعترض عليه أحد، والمشاكل الاقتصادية يمكن حلها بطريقة عملية وحضارية .
اشار أن الأستاذ النورسي أكد على أهمية الحركة الإيجابية في تأمين وحدة واتحاد المسلمين العاملين في حقل الخدمة الإسلامية بمناهج مختلفة للبعد عن العداء والتخاصم .

رسائل النور عرضت العمل الإيجابي البناء في عدة جوانب من أهمها :
الجانب الأول : نظرة المؤمن للدارين الدنيا والآخرة ،
الجانب الثاني: دساتير الإخلاص ،
الجانب الثالث: أسباب اختلاف أصحاب الدين والعلماء أهل الحق واتفاق أهل الغفلة والضلالة والنفاق ،
الجانب الرابع: مفسدات الأخوة وعلاجها ،
الجانب الخامس: أمراض فتاكة للمؤمنين وعلاجها.
الجانب السادس : نظرة المؤمن للدارين الدنيا والآخرة
أشار الأستاذ النورسي : «أن نوازع الإنسان وأحاسيسه المادية تفضل اللذة العاجلة على اللذات الآجلة ، مما يعيقه عن القيام بالخدمة الإيمانية ولمساعدته في التغلب على هذه المشكلة هو الكشف عن الألم في لذته نفسها ومساعدته على التغلب على أحاسيسه السلبية .
ونتيجة لتلك الفكرة السلبية فإن أرباب السفاهة والضلال يذوقون في الدنيا نفسها عذاباً جهنمياً معنوياً ، كما أن أهل الصلاح والإيمان يعيشون في جنة معنوية في هذه الدنيا» ، وذلك عندما يصححون الفكرة السلبية بعمل إيجابي بناء .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.....

المحاضرة (العاشرة) مدرسة الأشاعرة (من أهل السنة والجماعة) ١٧-٥-٢٠٢٤

ملاحظة/ عالمان فقط لكل طبقة مطلوبة ، وواحدة منهما شرحا إن كان الشرح موجودا

الباب الأول: موقف الأشاعرة من الأدلة النقلية والعقلية والشبهات المثارة حوله ....

الفصل الأول: موقف الأشاعرة من الأدلة النقلية والعقلية ..

المبحث الأول: الأدلة النقلية؛ أنواعها وحجيتها عند الأشاعرة..

المطلب الأول: الدليل النقلي ؛ تعريفه وأنواعه عند الأشاعرة ...

أولاً: تعريف الدليل.

ثانياً : أقسام الدليل عند الأشاعرة ..

١ - تقسيم الدليل من حيثُ إفادته العلم أو الظَّنّ..

٢ - تقسيم الدليل من حيث مصدره .

منهج الأشاعرة في التوفيق بين الأدلة النقلية والعقلية في مسائل العقيدة - دلالة المعجزة ...

ثالثا: تعريف الدليل النقلي، وأقسامه عند الأشاعرة..

المطلب الثاني: القرآن الكريم وحجيته في مجال العقيدة عند الأشاعرة...

أولاً: تعريف القرآن الكريم...

ثانيا: حجية القرآن الكريم عند الأشاعرة..

ثالثا: لمحات من الجهود التي بذلها الأشاعرة في إثبات حجية القرآن والدفاع عنها .

- جهود أهل السنة الأشاعرة في إثبات قطعية النص القرآني وتواتره..

٢ - جهود أهل السنة الأشاعرة في إثبات إعجاز القرآن الكريم..

- جهود أهل السنة الأشاعرة في رد المطاعن عن كتاب الله تعالى.

المطلب الثالث: السنة وحجيتها في مجال العقيدة عند الأشاعرة..

أولاً : مفهوم السنة ..

ثانيا : حجية السنة عند الأشاعرة ..

ثالثا: أقسام السنة وحجية كل منها عند الأشاعرة ..

الحديث المتواتر.

٢ - حديث الأحاد.

المبحث الثاني: الأدلة العقلية؛ أنواعها وحُجيَّتها عند الأشاعرة.

المطلب الأول: الدليل العقلي ومكانته عند الأشاعرة.

أولاً: تعريف العقل.

ثانياً: تعريف الدليل العقلي..

ثالثا: مكانة العقل والأدلة العقلية عند الأشاعرة.

المطلب الثاني: تطور منهج الاستدلال العقلي عند الأشاعرة ..

المرحلة الأولى مرحلة متقدمي الأشاعرة..

المرحلة الثانية: مرحلة المتأخرين من الأشاعرة ...

المطلب الثالث: أنواع المعارف العقلية وأقسامها عند الأشاعرة..

أولاً: الضروريات.

ثانيا: النظريات وأنواعها ..

ثالثا: الخلاصة في كيفية حدوث المعرفة العقلية.

المطلب الرابع: الدفاع عن العقل عند الأشاعرة..

أولاً: السمنية.

ثانيا: السوفسطائية..

الفصل الثاني : أهم الشبهات المُثارة حول موقف الأشاعرة من الأدلة النقلية والعقلية ..

المبحث الأول: شبهات حول موقف الأشاعرة من الدليل النقلي.

المطلب الأول: حقيقة مَصْدر التلقي عند أهل السنة الأشاعرة ..

المطلب الثاني: شبهة أن الأدلة النقلية لا تفيد اليقين عند الأشاعرة.

المطلب الثالث: فكرة الدور المنهجي، وعلاقتها بمصدر التلقي عند الأشاعرة .....

دراسة تاريخية موجزة للمدرسة الأشعرية وأهم أعلامها

لأكثر من ألف سنة، كانت المدرسة الأشعرية تشكل العمود الفقري لأهل السنة والجماعة، بل إن المتبادر من إطلاق مصطلح أهل السنة والجماعة - عند عامة علماء المسلمين هو الأشاعرة ومن سار على نهجهم.

ولما كانت هذه الدراسة مرتبطة أصلاً بفكر الأشاعرة ومنهجهم، كان من الأهمية بمكان التعريف بأعلام هذه المدرسة، ليُعلم أنّ ما يتوصل إليه هذا البحث، إنما هو من تأصيل واستنباط ووضع أولئك العمالقة الكبار، الذين هم قادة الأمة وجها بذتها ومفكروها.

المطلب الأول: التعريف بالإمام المؤسِّس «أبو الحسن الأشعري».

ينتسب الأشاعرة في منهجهم العقدي والفكري إلى الإمام أبي الحسن الأشعري وفيما يأتي تعريف موجز بهذا الرجل العظيم، وأهم ما قدمه للإسلام من خدمات.

أولاً: اسمُهُ ونَسَبُهُ.

هو علي بن إسماعيل بن أبي بشر بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله، بن موسى، بن بلال، بن أبي بردة بن أبي موسى؛ عبد الله بن قيس الأشعري؛ صاحب رسول الله (عليه الصلاة والسلام) [٢٨]

ثانيا: مولده ووفاته.

ذكر بعض من ترجم للأشعري أنه ولد سنة: مئتين وسبعين ، ولكن الأكثرين على أن ولادته كانت سنة: مئتين وستين (ت/٢٦٠هـ) ، وما يؤيد ذلك: ما رواه الحافظ ابن عساكر، وغيره من أن الإمام الأشعري - رحمه الله - كان تلميذاً لأبي علي الجبائي"، يدرس عليه ولا يفارق أربعين سنة.

فإذا صحت هذه الرواية، وكانت وفاة الجبائي المذكور سنة : (٣٠٣هـ) - كما ذكره من ترجم له - كان الصحيح أن ولادة الشيخ الأشعري سنة ستين ومائتين، وليس سبعين، لأن لو كان الأخير، لكان عمره عندما توفي الجبائي ثلاثا وثلاثين، والله تعالى أعلم.

توفي والد الإمام الأشعري وهو صغير، فأوصى به قبل موته إلى زكريا الساجي ثم لم تلبث أمه أن تزوجت بأبي علي الجبائي المعتزلي، فنشأ الأشعري في كنفه ،وأما سَنَة وفاته فقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ذلك عدة أقوال؛ والراجح : إنه توفي بعد سنة أربع وعشرين وثلاثمئة، وهو الراجح عند المحققين وأكثر المؤرخين.

ثالثا: نشأته العلمية.

---

(٢٨) اتفقت أغلب المصادر على ذلك، ينظر مثلا: تاريخ بغداد الخطيب البغدادي، ١١/ ٣٤٦، ترتيب المدارك. القاضي عياض، ٥/٢٤ ، المنتظم. ابن الجوزي، ١٤ / ٢٩، الكامل في التاريخ. علي ابن الأثير الجزري (ت ٦٣٠ هـ). تح: عمر عبد السلام تدمري. ط ١ . بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ٧/٢١١ ، طبقات فقهاء الشافعية. عثمان بن عبد الرحمن الشهر زوري ابن الصلاح (ت) ٦٤٣هـ). تح: محيي الدين علي نجيب ط١. بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٩٩٢م، ٢/ ٦٠٤، وفيات الأعيان. ابن خلكان ٣ / ٢٨٤ ، تاريخ الإسلام للذهبي، ٧/٤٩٤ .

يصطدم الباحث في حياة الإمام الأشعري بكثير من الغموض فيما يتعلق ببعض تفاصيل حياته، ويزداد الأمر غموضاً إذا ما تعلق الأمر ببدايات طلبه للعلم، وكيفية نشأته .. ولعل معرفة مشايخه الذين تتلمذ على أيديهم، تلقي ببعض الضوء على بداية طلبه للعلم.

١ ـ مشايخه.

المشتهر المتداول بين الباحثين أن الأشعري هو تلميذ الجبائي، وربما لا يعلم أكثر الناس من مشايخه إلا هذا المعتزلي، ولكن العلماء العارفين بالتواريخ والتراجم قد ذكروا عدداً لا بأس به من المشايخ الذين تتلمذ عليهم الأشعري، ومن أهم أولئك:

أ ـ زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن الصبي البصري الساجي أبو يحيى، محدث البصرة في عصره. ولد في البصرة سنة (٢٢٠ هـ)، كان من الحفاظ الثقات، وله كتاب جليل في علل الحديث يدل على تبحره، وله أيضاً كتاب اختلاف الفقهاء». قال الإمام الذهبي (١) في ترجمته: «عنه أخذ أبو الحسن الأشعري مقالة السلف في الصفات، واعتمد عليها في عدة تأليف (٢)، توفي بالبصرة سنة : (٣٠٧هـ)

ب ـ أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج البغدادي، فقيه الشافعية في عصره، والمعدود من مجددي الدين في زمانه، ولد في بغداد سنة (٢٤٩هـ) ، ولي القضاء بشيراز، فنصر مذهب الشافعي ونشره في الآفاق، له مئات المصنفات منها الأقسام والخصال، والودائع المنصوص)، (٣٠٦/ ت) هذا وأكثر المترجمين لم يذكروا «ابن سريج» في مشايخ الأشعري، وإنما ذكره صاحب (البداية والنهاية)، فالله أعلم.

ج ـ أبو بكر القفال، محمد بن علي الشاشي، نسبة إلى الشاش"، وبها مولده سنة:

(٢٩١)، كان كبار علماء عصره بالفقه، والحديث، واللغة، والأدب، وهو أول من صنف الجدل الحسن من الفقهاء، وعنه انتشر مذهب الشافعي في بلاده. رحل إلى خراسان، والعراق، والحجاز، والشام، وعاد إلى موطنه، وتوفي هناك سنة : (٣٦٥هـ) من كتبه: «أصول الفقه»، و «محاسن الشريعة»، وغيرها.

هذا وقد ذكر المؤرخون أن القفال ـ كان في أول أمره مائلاً إلى الاعتزال، ثم رجع إلى مذهب الأشعري، فكان الأشعري يقرأ عليه الفقة، وهو يقرأ عليه الكلام).

د ـ أبو خليفة، الفضل بن الحباب الجُمَحِي، محدّث البصرة ومسندها وقاضيها، ومن رواة الأخبار والأشعار؛ ولد في البصرة سنة (٢٠٦هـ)، وأخذ عن عدد من مسنديها، ومنهم خاله (٦) ، من كتبه: كتاب «الفرسان» و «طبقات الشعراء الجاهليين» (ت ٣٠٥ هـ)

ه ـ أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي : ، رئيس علماء المعتزلة ومقدمهم في عصره، ولد سنة (٢٣٥هـ) في أحواز العراق، واشتهر في البصرة، كانت له مقالات وآراء انفرد بها في المذهب، فنسبت إليه الطائفة الجبائية»، توفي سنة: (٣٠٣هـ) ودفن في مسقط رأسه. له «تفسير حافل مطول. وقد سبق أن الأشعري أخذ عنه الاعتزال في بداية حياته، ثم إنه رد عليه في بعض كتبه، وبخاصة في تفسيره الكبير (١).

٢ ـ تلاميذه

أخذ عن الأشعري تلاميذ كثيرون، فأكثر من توسع في ذكر تلاميذ الأشعري والسائرين على منهجه الإمام ابن عساكر» . في تبيين كذب المفتري ص ١٧٧ وما بعدها، والإمام تاج الدين السبكي ـ في طبقات الشافعية الكبرى ٣/٣٦٨ وما بعدها.

، قاموا فيما بعد بنشر مذهبه ونصرة أفكاره، وذلك لما وجدوا لديه من غيرة على عقائد أهل السنة والجماعة، وأسلوب فريد في نصرتها بالأدلة العقلية والنقلية.

٣ - مذهبه الفقهي.

لعل إمامة الأشعري في الأصول والكلام، وما اشتهر عنه من نصرته لأهل السنة، ووقوفه في وجه المبتدعة بأصنافهم، كل ذلك جعل أتباع المذاهب الفقهية يتنازعون نسبته إليهم،

حيث ادعى كل من الحنفية، والمالكية، والشافعية، نسبة الأشعري إلى مذهبهم، وترجموا له في كتب أصحابهم ويتصورون ذلك ، وإن كان الأرجح، والذي عليه الأكثرون أنه كان شافعي المذهب.

رابعاً: مصنفاته

ذكر المترجمون للإمام الأشعري - أن له مصنفات كثيرة، أوصلها بعضهم إلى مئتين . ولكن للأسف - ما وصل إلينا من تلك المصنفات الكثيرة لا يزيد على أصابع اليدين، ومع ذلك وقع خلافٌ طويل عريض حول بعض تلك المؤلفات، وأول ما ألفه منها وآخر ما صنفه؛

-فهل (الإبانة» تمثل المرحلة الأخيرة من فكر الأشعري ؟ أم المرحلة الوسطى - أن بعد رجوعه عن الاعتزال مباشرة - أم لا هذا ولا ذاك ؟

- وهل اللمع، هو الذي يمثل مرحلة النضج الفكري للأشعري، أم «الإبانة»؟

- وهل حدث تزوير في نصوص كتب الإمام من قبل الحشوية وغيرهم ؟

- أم أن هذا مجرد ادعاء ادعاه بعضهم ليبرر لنفسه مخالفة الإمام ؟.. إلى آخر ما اختلف فيه، مما يتعلق بمصنفات الإمام الأشعري ..

وكما قال محقق الـ والدعاية بالأدلة العقلية ولكثرة الاختلافات في هذا الموضوع، سيكتفي البحث ههنا بذكر أهم المصنفات التي وصلت إلينا، مما تسب للإمام الأشعري، ويُترك الكلام على غيرها للكتب التي خصصت لدراسة حياة الإمام وسيرته (٣).

(٢) ينظر: تبيين كذب المفتري ابن عساكر، ص ٩٢، الأعلام للزركلي ٤/٠٢٦٣ (٣) أفدت في هذه الفقرة من كتابين، لعلهما أفضل ما كتب حول مصنفات الأشعري استقصاء، وتوضيحاً، وتنقيحاً، وهما: مذاهب الإسلاميين د. عبد الرحمن بدوي. ٢. بيروت: دار العلم للملايين ٢٠٠٥م ، ص ٥٠٥ - ٥٣٠، ومقدمة كتاب الإبانة عن أصول الديانة، علي بن إسماعيل الأشعري.

١ - مقالات الإسلاميتين واختلاف المصلين .

وهذا الكتاب مما اتفق الباحثون تقريباً على نسبته للإمام الأشعري، فقد ذكره أكثر من ترجم له (٢)، وذكره ابن عساكر في ثبت الكتب التي ألفها الأشعري قبل سنة (٣٢٠هـ) (٣)، والذي نقله عن كتاب العُمد في الرؤية» للأشعري، وهو كتاب عظيم الفائدة؛ يتناول الفرق الإسلامية الرئيسة، وهو ينقسم إلى قسمين؛ الأول: يتناول فيه جليل الكلام، ومذاهب الفرق فيه والثاني: يتناول فيه مسائل في دقيق الكلام، وآراء مختلف الفرق فيها، وخصوصاً المعتزلة (١) .

٢- اللمَعُ في الرد على أهل الزيغ والبدع .

في هذا الكتاب كثير من الردود على المعتزلة، وشرح لما يذهب إليه الإمام في مسائل: وجود الصانع، والقرآن والإرادة، والرؤية، والقدر، والكتب، والاستطاعة، ثم مسائل التعديل والتجوير والإيمان، والوعد والوعيد والإمامة.

وكما قال محقق الكتاب فالأشعري يبدو في هذا الكتاب أعمق تفكيراً، وأسلم منهجاً، وأشدَّ عناية بالأدلة العقلية، وهو هنا لا يذكر الإمام أحمد، ولا يشيد بمنهجه، بل على العكس،

٣- الإبانة عن أصول الديانة .

وهو أكثر كتب الأشعري إثارة للجدل؛ حيث اختلف الباحثون اختلافا كثيراً في صحة نسبته إلى الإمام الأشعري من جهة، ثم في زمن تأليفه - عند من أثبته له - من جهة ثانية.

وسبب الخلاف هو ما يظهر لقارئ الكتاب؛ من أن مؤلفه يميل إلى طريقة الإثبات في الصفات الخبرية، كاليدين والعين والاستواء، ويرفض تأويلها، بل إنه يذم من أول بعض الصفات كالاستواء (٣)، وهذا أمر يخالف منهج أكثر الأشاعرة.

لذلك انقسم أتباع أبي الحسن الأشعري في موقفهم من هذا الكتاب أقساماً عدة. فذهب بعضهم إلى إنكار نسبة هذا الكتاب إلى الإمام جملة، واعتباره منحولاً مكذوبا

في حين رأى أكثر الأشاعرة أن إنكار نسبة هذا الكتاب إلى الأشعري، مع توافر الأدلة التي تثبت نسبة الكتاب إليه، ومع توارد المؤرخين والمترجمين على نسبته إليه) ، أمر مرجوح.

فرجح هؤلاء الإقرار بنسبة الكتاب إلى الإمام، ولكنهم وقفوا منه مواقف متباينة

فمنهم من رأى أن الكتاب قد اعتراه التحريف والتغيير، وفي هذا يقول «الكوثري»: و من العزيز جداً الظفر بأصل صحيح من مؤلفاته - أي الأشعري - على كثرتها البالغة (١) ، والنسخة المطبوعة في الهند من الإبانة، نسخة مصحفة محرفة، قد تلاعبت بها الأيادي الأثيمة).

ومنهم من يرى أنه لا تعارض بين ما جاء في الإبانة وبين غيره من الكتب كاللمع مثلاً؛ فالإمام جرى في الإبانة على طريقة التفويض، بينما نزع في غيره إلى التأويل، وكلاهما جائز عند الأشاعرة، أو أن كل واحد منهما موجه إلى فئة غير الأخرى.

وبالمقابل يتمسك أتباع ابن تيمية بالكتاب، زاعمين أنه يمثل المرحلة الثالثة والأخيرة من فكر الأشعري، وهي مرحلة الرجوع إلى عقيدة السلف - حسب تعبيرهم - وذلك بعد أن مر بمرحلة الاعتزال، ثم مرحلة التوسط بين الفريقين.

٤- رسالة في استحسان الخوض في علم الكلام :

وتتضمن الرد على من زعم أن الاشتغال بعلم الكلام، والمصطلحات الحادثة في بدعة لم تكن في زمن النبي ﷺ وأصحابه ، فيجب إنكارها، وقد شكك بعض الباحثين في نسبة هذه الرسالة إلى الأشعري ، ولكن اتصال الأستايد بروايتها، وتوافر النسخ الخطية لها، والتشابة الملحوظ بين بعض عباراتها وعبارات اللهم ترجح ثبوت نسبتها للأشعري، ولعلها هي المقصودة برسالة الحث على البحث التي ذكرها الحافظ ابن عساكر .

٥ - رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب :

وسماها ابن عساكر: جواب مسائل كتب بها إلى أهل الثغر، في تبيين ما سألوه عن من مذهب أهل الحق . أما موضوعها فيشتمل على مقدمة حول الاستدلال ومنهج الرسل فيه، مع انتقاد لدليل الأعراض الذي استدل به المتكلمون، ويستغرق هذا ما يقرب من نصف الرسالة، ثم بعد ذلك تعرض الرسالة لما أجمع عليه السلف في مسائل العقيدة المختلفة كالصفات، والرؤية، والقدر، والنبوة، والإيمان...

خامساً: ثناء العلماء على الإمام الأشعري.

أثنى على الأشعري عدد لا يحصى من العلماء، كيف لا ؟ وهو الذي نصر الله به السنة، وأيد به الملة، ووقف في وجه أمة الإعتزال ، يوم كان لا يقدر على الوقوف في وجههم جيش عرمرم من المتكلمين والعلماء؟ وفيما يأتي شذرات من ثناء ا العلماء المنصفين عليه

قال عنه مؤرخ بغداد؛ العلامة الخطيب البغدادي: «الأشعري.. المتكلم، صاحب الكتب والتصانيف في الرد على الملحدة، وغيرهم من المعتزلة، والرافضة)، والجهمية، والخوارج، وسائر أصناف المبتدعة» .

وقال الإمام البيهقي ... بلغت النوبة إلى شيخنا أبي الحسن الأشعري ، فلم يحدث في دين الله حدثاً، ولم يأتِ فيه ببدعة، بل أخذ أقاويل الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من الأئمة في أصول الدين، فنَصَرَها بزيادة شرح وتبيين، وأن ما قالوا وجاء به الشرع في الأصول، صحيح في العقول، بخلاف ما زعم أهل الأهواء من أن بعضه لا يستقيم في الآراء، فكان في بيانه تقوية ما لم يدل عليه من أهل السنة والجماعة، ونصرة أقاويل من مضى من الأئمة .. (٠) .

ملاحظة /

- ينظر: مناقشات حول ذلك في مذاهب الإسلاميين د. بدوي ص ٥٢٢، ومقدمة كتاب الإبانة. للأشعري بتحقيق الدكتورة فوقية، ص٧١. ورسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب للإمام الأشعري تح: عبد الله شاكر الجنيدي، المدينة المنورة عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ١٤١٣هـ. ص ٦٢ وما بعد.

- الرافضة : هي أحدى فرق الشيعة، وسموا بالرافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر ؛ فقد كان زيد بن علي بن الحسين (ت (١٢٢هـ) يفضّل عليا على سائر أصحاب رسول الله ﷺ، ويتولى مع ذلك أبا بكر وعمر ، فلما ظهر بالكوفة في أصحابه الذين بايعوه، سمع من بعضهم الطعن على الصاحبين، فأنكر ذلك عليهم، فتفرق عنه الذين بايعوه، فقال لهم رفضتموني، فسموا بالرافضة، ينظر : مقالات الإسلاميين. الأشعري ص ٦٥.

١- وقال عنه الإمام الباقلاني: «أفضل أحوالي أن أفهم كلام الأشعري .

٢- وقال الفقيه أبو بكر الصيرفي : «كانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم، حتى نتا الأشعري فحجرهم في أقماع السمسم".

٣- وقال القاضي عياض: وصنف لأهل السنة التصانيف، وأقامَ الحُجَجَ على إثبات السنة، وما نفاه أهل البدع من صفات الله تعالى ورؤيته، وقدم كلامه وقدرته، وأمور السمع الواردة من الصراط، والميزان، والشفاعة، وفتنة القبر التي نفت المعتزلة، وغير ذلك من مذاهب أهل السنة والحديث، فأقام الحجج الواضحة عليها من الكتاب والسنة، والدلائل الواضحة العقلية، ودفع شُبَهَ المبتدعة ومن بعدهم من الملحدة والرافضة، وصنف في ذلك التصانيف المبسوطة التي نفع الله بها الأمة »

٤- أما الحافظ ابن عساكر ، فقد أجاد وأفاد في الكتاب القيم الذي أفرده لترجمة الإمام الأشعري، فوفاه حقه من الثناء والمديح، وجعله من المجددين، وذكر أقوال العلماء في مدحه والثناء عليه.

٥- وكذلك العلامة تاج الدين السبكي في طبقات الشافعية»

حيث قال عنه: «شيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى، شيخ طريقة أهل السنة والجماعة، وإمام المتكلمين، وناصر سنة سيد المرسلين، والذاب عن الدين، والساعي في حفظ عقائد المسلمين، سعيا يبقى أثره إلى يوم

يقوم الناس لرب العالمين! ، إمام حبر وتقي بر، حتى جناب الشرع من الحديث المفترى،

وقام في نصرة ملة الإسلام فنصرها نصراً مؤزرا" .

٦- وقال عنه الإمام الذهبي:

العلامة إمام المتكلمين»، وقال في موضع آخر: «ولابي الحسن ذكاء مفرط، وتبحر في العلم، وله أشياء حسنة، وتصانيف جمة تقضي له بسعة العلم).

ولو أراد البحث جمع كل ما قبل في هذا الإمام الحبر، لطال المقام جداً، كيف لا، وهو - إمام أهل السنة لأكثر من ألف سنة ؟، بطريقته يسلكون، وبأدلته يستدلون، وعلى منهاجه يسيرون، فَرَحمه الله تعالى رحمة واسعة، وحَشَرنا معه يوم الدين، تحت لواء سيد المرسلين .

المطلب الثاني: التعريف بأهم أعلام المدرسة الأشعرية من العلماء والمصلحين.

من الحقائق التي لا يجوز أن تخفى على طالب علم، أن الأشاعرة ليسوا فرقة ولا مذهبا، وإنما هم كانوا وما زالوا يشكلون السواد الأعظم من المسلمين...

ولكن في هذا الزمان، الذي أصبحت فيه قطعيات الدين محل أخذ ورد، لم يعد مستغرباً أن يسمع الإنسان متكلما يقول: إن الأشاعرة ليسوا من أهل السنة !!

ومع أن هذا الكلام أقل من أن يُردَّ عليه أو يناقش، إلا أن أصحاب هذه البدعة المنكرة قد سخروا لأجل نشرها الأموال الطائلة، ووسائل الإعلام الجبارة المختلفة.. ورافق ذلك تقصير من أهل الحق في الدفاع عن معتقداتهم وحقوقهم، حتى أصبح كثير من الناس لا يعرفون عن الأشاعرة سوى أنهم فرقة من الفرق الكلامية المخالفة لمنهج السلف، بل وأن هذه الفرقة وأفكارها ومنهجها .. مجرد أمر تاريخي مضى وانتهى.

لأجل هذا وذاك، صار من المهم جداً بذل الجهود الحثيثة، من أجل إعادة الاعتبار إلى هذه المدرسة المظلومة، لكي تعود وتضطلع بدورها الرائد في نصرة عقائد أهل الحق، بالمناهج الصحيحة والأدلة القويمة.

ولعلّ ممّا يمكن أن يُساهم في إعادة الأمور إلى نصابها الصحيح، بيان أن جل العلماء الكبار، الذين حملوا علوم الشريعة، وكان لهم أثر واضح في تاريخ الأمة العلمي والدعوي إِنَّمَا هُم مِن الأشاعرة.

وقد حاول بعض العلماء قديماً القيام بهذه المهمة؛ فجمعوا أسماء كبار الأشاعرة وترجموا لهم، وللأسف لم يصلنا من تلك المحاولات إلا ما قام به الحافظان:

١- (ابن عساكر) في كتابه «تبيين كذب المفتري فيما نُسب إلى الإمام الأشعري»،
٢- (الإمام تاج الدين السبكي) في كتابه: «طبقات الشافعية الكبرى » وثمة محاولات أخرى، لكنها لم تصلنا، أو ما زالت في أدراج المخطوطات، منها كتاب: طبقات المتكلمين. للإمام محمد ابن الحسن بن فورك (ت ٤٠٦ هـ)،
٣- وكتاب طبقات الأشاعرة. لمحمد بن محمد ابن إمام الكاملية، (ت ٨٦٤) كما في : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي المشهور بحاجي خليفة، (ت ١٠٦٧هـ) دط. بغداد: مكتبة المثنى، ١٩٤١م، ٢ ١١٠٦ ، وهدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين. إسماعيل باشا البغدادي (١٣٣٩ه). دط. استانبول: وكالة المعارف الجليلة، ١٩٥١م، ٢/ ٢٠٦.

وبما أن هذا البحث يدور حول منهج السادة الأشاعرة، ومواقفهم من الأدلة العقلية والنقلية، فقد كان من المناسب استعراض لمحات من حياة بعض أساطين علماء الإسلام عبر التاريخ، ممن لا يُختلفُ في فضلهم ودورهم العظيم في حمل لواء العلم الشرعي، وهم مع ذلك ينتسبون إلى الأشاعرة، ويعتبرون أبا الحسن الأشعري إمام أهل السنة والجماعة .

كان من المفروض أن تحتوي هذه الفقرة على تراجم لجل أعيان الأشاعرة عبر التاريخ، ولكن تبين أن إعطاء هذا الموضوع حقه يحتاج إلى مئات بل آلاف الصفحات، مما يخل بمنهجية البحث العلمي لذلك ترجح أن يترجم البحث لبعض أعيان علماء الأشاعرة، بحيث يشمل ذلك عالمين أو ثلاثة من الأشاعرة في كل قرن، ممن جاء بعد الإمام الأشعري ...

الطبقة الأولى من الأشاعرة؛ وهم الآخذون عن الإمام الأشعري :

ذكر الحافظ ابن عساكر عددا كبيراً ممن أخذ عن الإمام أو أدركه وقال بقوله ، إلا أن المنهج هنا بترجمة اثنين منهما، كان لهما الأثر الأكبر في نشر طريقة الإمام الأشعري - وأفكاره ومنهجه ، وهم :

١ - أبو الحسن الباهلي البصري (٠٠٠ – ت/ هـ٣٧٠) (ت/ هـ)

الإمام الكبير الزاهد المتكلم، من أعظم أصحاب الإمام الأشعري، وهو ناشر مذهبه قال عنه الذهبي : "العلامة شيخ المتكلمين تلميذ أبي الحسن.. كان يقظا، فطينا، لسنا، صالحا، عابداً، بارعا في العقليات....".

وقال الإمام الباقلاني كنتُ وأبو إسحاق الإسفراييني، وأبو بكر بن فورك ، في درس أبي الحسن الباهلي، كان يدرس لنا في كل جمعة مرة، وكان يرخي الستر بيننا وبينه.. وكنا نسأله عن سبب الحجاب؟ فيجيب بأننا نرى السوقة وهم أهل الغفلة، فتروني بالعين التي ترونهم..

وقال أبو إسحاق الإسفراييني: أنا في جانب الشيخ أبي الحسن الباهلي، كقطرة في البحر.

هذا.. والمراجع تذكر هذا الإمام بكنيته دون اسمه، ومما ذكر فيها أيضاً أنه كان في بداية شبابه شيعيا إماميًا، فانتقل عن مذهبه إلى مذهب أهل السنة، بمناظرة جرت بينه وبين الإمام الأشعري

وقد ذكر العلماء أن أعظم من أخذ عن الباهلي ثلاثة: الباقلاني، والإسفراييني، وابن فورك، إلا أن القاضي أبا بكر أخص بابن مجاهد صاحب الترجمة التالية»، والأستاذين أخص بالباهلي.

٢ - أبو عبد الله بن مجاهد البصري (٠٠٠ -) (ت/ ٣٧٠هـ)

هو محمد بن أحمد بن مجاهد، أبو عبد الله الطائي، الفقيه المالكي المتكلم. ولد في البصرة، ثم انتقل إلى بغداد، وصحب أبا الحسن الأشعري، وأخذ عنه وعن غيره من علمائها، واشتغل في مناظرة الفرق المخالفة.

قال الخطيب البغدادي في ترجمته: كان ثخين الستر، حسن التدين، جميل الطريقة. أخذ عنه العلم كثيرون، أشهرهم: الإمام أبو بكر ابن الباقلاني.

وقد كان علماء ذلك العصر، يعرفون لا بن مجاهد فضله في الذود عن عقيدة أهل الحق، حيث جاء في إجازة الإمام ابن أبي زيد القيرواني) له : ... وعندنا من أخبار الشيخ الطيبة ما تعم مسرته؛ من نضرته هذا المذهب، وذيه عنه، ومحاماته عليه، حماه الله مكروهه .. (٣)

وذكر المترجمون له مصنفات عدة منها: كتاب في أصول الفقه على مذهب مالك وكتاب هداية المستبصر ومعونة المستنصر»، و"رسالة مشهورة في الاعتقادات على مذهب أهل السنة»، وتواليف أخرى.

الطبقة الثانية من الأشاعرة؛ وهم أصحاب أصحاب الإمام.

ذكر الحافظ ابن عساكر في هذه الطبقة حوالي العشرين من العلماء الفحول، الذين أخذوا عن أصحاب الإمام الأشعري السابقين .. وزاة السبكي عليهم سبعة من الأعلام)، وفيما يأتي ترجمة الأشهر هؤلاء، وأكثرهم مساهمة في نشر منهج الأشاعرة وفكرهم.

١ - القاضي أبو بكر بن الطيب بن الباقلاني (٣٣٨ - ٨٤٠٣) :

هو محمد بن الطيب بن محمد، أبو بكر المعروف بابن الباقلاني، الإمام العلامة الأصولي، المالكي، الملقب بناصر السنة، ولسان الأمة، والأشعري الثاني.

ولد في البصرة، ثم سكن بغداد، وسمع بها الحديث، وأخذ الأصول عن ابن مجاهد والباهلي وغيرهما، وكان أعرف الناس بالكلام، وله التصانيف الكثيرة في الرد على المخالفين من الرافضة، والمعتزلة، والجهمية، والخوارج، وغيرهم، ويعده عدد من العلماء مجدد المئة الرابعة).

وكان الشيخ أبو الحسن التميمي - إمام الحنابلة في عصره - يقول عن الباقلاني تمسكوا بهذا الرجل فليس للسنة عنه عنى أبداً . وكان الإمام الدار قطني) يصفه بناصرالسنة وقامع المعتزلة.

ولما توفي الباقلاني حضر الشيخ أبو الفضل التميمي تشيع الجنازة والعزاء حافياً مع إخوته وأصحابه، و أمر أن ينادى بين يدي جنازته: (هذا ناصر السنة والدين، هذا إمام المسلمين، هذا الذي كان يذب عن الشريعة السنة المخالفين، هذا الذي صنف سبعين ألف ورقة رداً على الملحدين).

ترك الباقلاني ثروة من المصنفات القيمة، منها: «التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة» و«إعجاز القرآن» و «الانتصار للقرآن» و«الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ..

ومما يذكر في سيرة هذا الإمام : أن تلامذته الذين أخذوا عنه فن الكلام، هم الذين تشروا مذهب أهل السنة الأشاعرة في المغرب الأقصى، بل وفي كثير من البلدان، وعلى رأس هؤلاء العلامة أبو ذر الهروي ، والقاضي أبو محمد البغدادي المالكي) وغيرهما من الأعيان.

٢ - الأستاذ أبو بكر بن فورك الأصبهاني ..... (ت/ ٤٠٦ هـ):

محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني الشافعي، أبو بكر، العلامة، المتكلم، الأصولي،

النحوي ، أقام في العراق إلى أن أتقن مذهب الأشعري، ثم غادرها إلى الري ، فوقعت له مشكلات مع المبتدعة، فالتمس منه أهل نيسابور القدوم إليهم، وبنوا له مدرسة ففعل،

وورد نيسابور، وأحيا الله تعالى به في تلك البلدة أنواعاً من العلوم لما استوطنها وظهرت بركتُه على جماعة من المتفقهة، وتخرجوا به. ورة نيسابور، وأحبها الله تعالى به في

وكان سيفاً مسلطاً على رقاب المبتدعة من الكرامية والمعتزلة، وغيرهم، بار لهم بالمريادا يدخص حججهم ويبطل أدلتهم. ويقال: إن الكرامية هم الذين سموه بعد مناظرات جرت له معهم.

بلغت تصانيف ابن فورك - قريباً من المئة من أهمها: "مشكل الحديث وبيانه" و" مجرد مقالات الأشعري" و"شرح العالم والمتعلم".

وأخذ عنه العلم تلامذة عظام منهم الإمامان: أبو بكر البيهقي، وأبو القاسم القشيري.

٣- الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني (٠٠٠ –(ت/ ٤١٨ هـ).)

إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الإسفراييني أبو إسحاق الإمام العلامة الأصولي الشافعى، شيخ خراسان، وأحد المجتهدين في عصره، وصاحب المصنفات الباهرة.

ولد في إسفرايين، ورحل إلى العراق وتتلمذ في علم الكلام على العلامة الباهلي كما سبق)، ثم انصرف من العراق وقد أقر له العلماء بالتقدم، وبني له بنيسابور مدرسة كبيرة، وعنه أخذ الكلام والأصول عامة شيوخ نيسابور.

قال عنه المؤرخ عبد الغافر الفارسي : «أحد من بلغ حد الاجتهاد لتبخره في العلوم، واستجماعه شرائط الإمامة من العربية والفقه والكلام والأصول ومعرفة الكتاب والسنة، وكان ذا فنون، بالغا في كل فن درجة الإمامة، وكان طراز ناحية المشرق، ثم كان من المجتهدين في العبادة، المبالغين في الورع والتحرج .

أخذ عنه العلم أئمة كبار، منهم:عبد القاهر البغدادي، وأبو بكر البيهقي، وأبو القاسم القشيري).

الطبقة الثالثة من الأشاعرة؛

وهم: من لقي أصحاب الإمام وأخذ عنهم، وقد ذكر الحافظان ابن عساكر والسبكي في هذه الطبقة عشرين عالما في كتابيهما (تبين الكذب المفترب و طبقات الشافعية الكبرى :

١- الأستاذ أبو منصور النيسابوري المعروف بالبغدادي (..... - (ت/ ٤٢٩ هـ).)
٢- الإمام أبو محمد الجويني : (..... - (ت/ ٤٣٨ هـ).)
٣- الحافظ أبوبكر البيهقي : (و/ ٣٨٤ – ت/ ٤٥٨ هـ).

الطبقة الرابعة من الأشاعرة؛

وهم المستبصرون بتبصير الإمام والمقتدون به :

ذكر الحافظان ابن عساكر والسبكي في هذه الطبقة ثلاثة عشر عالما، منهم :

١- الأستاذ أبو القاسم القشيري الشافعي : (و/٣٧٦ - (ت/ ٤٦٥ هـ) . قال عنه ابن السبكي " أجمع أهل عصره على أنه سيد زمانه وقدوة وقته وبركة المسلمين في ذلك العصر" ومن تصانيفه : (لطائف الإشارات في تفسير القرآن) و (الرسالة القشيرية) و (التحبير في علم التذكير).
٢- الإمام أبو إسحق الشيرازي : (و/٣٩٣ - (ت/ ٤٧٦ هـ).أمام الشافعية صاحب (المهذب) و(التنبيه) في الفقه ، و(اللمع) في الأصول .

٣- الإمام أبو المعالى الجويني (و/ ٤١٩- (ت/ ٤٧٨هـ) : إمام الحرمين الشافعي صاحب المدرسة النظامية ومدرسها ثلاثين سنة ، ومن مصنفاته : (الإرشاد والشامل في أصول الدين ، و(الرهان والتلخيص والورقات) في أصول الفقه ، و(نهاية المطلب و الغياثي) في الفقه وغيرهومن تلامذته (الغزالي) وغيره..

الطبقة الخامسة من الأشاعرة ؛

وهم الذين أدرك ابن عساكر بعضهم بالمعاصرة أو التلقي بهم :وقد ذكر الأمامان في هذه الطبقة ثلاثةً وعشرين عالماً منهم :

١- العلامة أبو الوليد الباجي المالكي.. (و/ ٤٠٣ - (ت/ ٤٧٤هـ) صاحب (المنتقى وإحكام الفصول و التسديد في معرفة التوحيد) .
٢- حجة الإسلام الإمام الغزالي الشافعي: (٤٥٠- (ت/ ٥٠٥هـ).
٣- القاضي عياض المالكي الأندلسي: (٤٧٦ – (ت/ ٥٤٤هـ) من تصنيفاته : (إكمال المعلِم شرح صحيح مسلم) و (الشفاء في التعريف بحقوق المصطفى) و (الإلماع في ضبط الرواية وتقييد السماع) و (ترتيب المدارك) .

الطبقة السادسة: من أعيان علماء الأشاعرة في القرن السابع..

١- الأمام فخر الدين الرازي الشافعي (و/ ٥٤٤ - (ت/ ٦٠٦هـ)
٢- العلامة سيف الدين علي الآمدي الشافعي : (و/ ٥٥١- (ت/ ٦٣١هـ).
٣- سلطان العلماء العز بن عبدالسلام الشافعي : (و/ ٥٧٧- (ت/ ٦٦٠هـ).

الطبقة السابعة: من أعيان علماء الأشاعرة في القرن الثامن.

ذكر الإمام ابن السبكي في هذه الطبقة ثلاثة عشر عالماً منهم :

١- شيخ الإسلام تقي الدين بن دقيق العيد الشافعي: (و/ ٦٥٢- (ت/ ٧٠٢هـ)

من مصنفاته النافعة: «إحكام الأحكام شرح عُمدة الأحكام»، «الإلمام بأحاديث الأحكام».. وغيرها.

٢ - القاضي عضد الدين الإيجي (٧٠٨ - ٧٥٦هـ):

عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو الفضل الإيجي الشيرازي الشافعي، عضد الدين، إمام المعقولات والمعاني والبيان في زمانه.

ولد بايج من نواحي شيراز، ولازم الشيخ زين الدين الهنكى، وتخرج به، واكتسب شهرة عظيمة.

كان ـ ذا مال جزيل، وإنعام على الطلبة، وكلمة نافذة، ثم جَرَتْ له محنة مع أحد الأمراء، فمات مسجوناً.

من كتبه: «المواقف في علم الكلام» و «العقائد العضدية» و«شرح مختصر المتبى في الأصول» وغيرها.

وأخذ عنه العلم علماء عظام من أشهرهم: العلامة سعد الدين التفتازاني

الطبقة الثامنة من أعيان علماء الأشاعرة في القرن التاسع.

في القرن التاسع كان المذهب الأشعري قد عم أرجاء المعمورة شرقاً وغرباً، وصار الممثل الأول لأهل السنة والجماعة بلا نزاع، ومن هنا فإن هذه الطبقة من طبقات علماء الأشاعرة، قد ضمت بين ثناياها جُلَّ عُلماء الأمة (١)، وفيما يأتي ترجمة لبعضهم:

١ - الإمام ابن عرفة التونسي (٧١٦ -ت/٨٠٣هـ).

محمد بن محمد بن عرفة التونسي المالكي، أبو عبد الله: إمام تونس، وعالمها، وخطيبها في عصره، وفيها مولده وفاته. أخذ العلم عن والده وعن غيره من علماء تونس .

قال عنه السيوطي : كان رأساً في العبادة والزهد والورع، ملازما للشغل بالعلم رحل إليه الناس وانتفعوا به، ولم يكن بالغرب من يجري مجراه في التحقيق، ولا من اجتمع له من العلوم ما اجتمع له، وكانت الفتوى تأتي إليه من مسافة شهر». من أهم مصنفاته: «المختصر الفقهي» و «المختصر الكلامي» و «المختصر الأصولي)

٢ - الحافظ ابن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢هـ) .

أحمد بن علي بن محمد بن حَجَر الكناني العسقلاني الشافعي، أبو الفضل، شهاب الدين، الإمام الحافظ العلامة، شيخ الإسلام.

مولده ووفاته بالقاهرة، ولع في بداية طلبه بالأدب والشعر، ثم أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ، وعلت شهرته، فقصده الناس، حتى أصبح حافظ الإسلام في عصره.

قال السيوطي: «انتهت إليه الرحلة والرياسة في الحديث في الدنيا، فلم يكن في عصره حافظ سواه» .

أما تصانيفه فكثيرة جليلة لا يحيط بفضلها كتاب، منها: «فتح الباري شرح صحيح البخاري» و«الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة» و«لسان الميزان» و «تلخيص الحبير» وغيرها.

خلف تلاميذ كثر، هم أعيان أهل السنة من بعده، منهم: العلامة الحافظ محمد بن عبدالرحمن السخاوي ، وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري ، والعلامة : الكمال بن الهمام الحنفي .

٣- الإمام جلال الدين المحلي (٧٩١ - ٨٦٤هـ):

محمد بن أحمد بن محمد المحلي الشافعي، المعروف بجلال الدين، العلامة الفقيه المحقق الأصولي المفسّر.

ولد في القاهرة، وأخذ عن كبار علمائها ، فبرع في الفنون فقها، وأصولاً، وكلاماً، ومنطقا قال عنه السخاوي: «كان إماماً علامة محققاً نظاراً، مُفرط الذكاء، صحيح الذهن، معظماً بين الخاصة والعامة، مهاباً، وقوراً، عليه سيما الخير، اشتهر ذكره، وبعد من وقصد بالفتاوى من الأماكن النائية .

تميزت مصنفاته - بالدقة والتحقيق والعمق، ومن أهم ما طبع منها : « كنز الراغبين شرح منهاج الطالبين» و«البدر الطالع، في حل جمع الجوامع» وغيرها.

الطبقة التاسعة: من أعيان علماء الأشاعرة في القرن العاشر.

وهذه الطبقة تفيض - كسابقتها، بأعيان علماء الأشاعرة الذين كانوا يمثلون جمهرة علماء الأمة الإسلامية ، وفيما يأتي ترجمة لبعضهم :

١ - شيخ الإسلام زكريا الأنصاري (٨٢٣ - ٩٢٦هـ).

زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري الشنيكي المصري الشافعي، أبو يحيى العلامة المحقق شيخ الإسلام .

ولد في (سنيكة) في محافظة الشرقية ، وتعلم في القاهرة، وكان في بداية طلبه فقيراً معدما، حيث ذكر أنه - كان يجوع في الجامع، فيخرج بالليل يلتقط قشور البطيخ، فيغسلها ويأكلها، إلى أن فتح الله أنامله. الله عليه الدنيا فصارت بين أنامله.

أخذ عن أساطين العلم في زمانه؛ كالحافظ ابن حجر، والجلال المحلي، والكمال والكمال بن قال عنه العلامة الهيتمي : ..." أجَلُّ مَن وقع عليه بصري من العلماء العاملين، والأئمة الوارثين.. فهو عمدة العلماء الأعلام، وحجة الله على الأنام، حامل لواء المذهب الشافعي على كاهله، ومحرر مشكلاته، وكاشف عويصاته، في بكوره وأصائله، ملحق الأحفاد بالأجداد، المتفرد في زمنه بعلو الإسناد، كيف ولم يوجد في عصره إلا من أخذ عنه مشافهة أبو بواسطة أو بوسائط". .

وتصانيف الإمام زكريا كثيرة جدا، وكلّها نافعة مشتهرة، ومنها: «تحفة الباري على صحيح البخاري» و «شرح ألفية العراقي»، و«أسنى المطالب في شرح روض الطالب وغيرها كثير ..

أما تلامذته.. فلا يكاد يحيط بهم الحصر، ومنهم أئمة عظام كابن حجر الهيتمي، وشمس الدين الرملي ، وغيرهما.

٢ - الإمام ابن حجر الهيتمي (٩٠٩ - ٩٧٤ هـ) .

أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي الشافعي المصري ثم المكي، شهاب الدين، الإمام العلامة المحقق، وأعلم المتأخرين بمذهب الشافعي.

تلقى العلم في الأزهر، كما أخذ عن خيار علماء عصره، وبخاصة شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وبرع في الفقه وسائر العلوم الشرعية، حتى غدا إمام الشافعية في عصره.

قال عنه صاحب النور السافر : كان بحراً في علم الفقه وتحقيقه لا تكدره الدلاء...إمام اقتدت به الأئمة، وهمام صار في إقليم الحجاز أمة، مصنفاته في العصر آية، يعجز عن الإتيان بمثلها المعاصرون .

توفي - ودفن في مكة المكرمة، وله تصانيف كثيرة نافعة منها: «تحفة المحتاج لشرح المنهاج» و«الإمداد في شرح الإرشاد» و «الصواعق المحرقة على أهل البدع والضلال والزندقة وكلها مطبوعة مشهورة.

الطبقة العاشرة: من أعيان علماء الأشاعرة في القرن الحادي عشر.

ضمت هذه الطبقة مئات من علماء وفقهاء الأمة ، وفيما يأتي ترجمة لبعضهم:

١- العلامة محمد عبد الرؤوف المناوي (٩٥٢ - ١٠٣١ هـ) :

محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي القاهري الشافعي، زين الدين من كبار العلماء الفقهاء الصوفية، وأعلم أهل زمانه بعلوم الحديث.

تتلمذ على أبيه، وعلى كبار عُلماء مصر في ذلك الزمان، وترك نحواً من ثمانين مصنفاً، منها: «التيسير في شرح الجامع الصغير اختصره من كتابه الآخر فيض القدير» و شرح الشمائل للترمذي و الكواكب الدرية في تراجم الصوفية».

قال عنه في فهرس الفهارس : كان أعلم معاصريه بالحديث، وأكثرهم فيه تصنيفاً وإجادة وتحريراً .. ».

وقال عنه صاحب خلاصة الأثر : هو أعظم علماء هذا التاريخ آثاراً» .

٢ - العلامة شهاب الدين الخفاجي المصري (٩٧٧ - ١٠٦٩ هـ) :

أحمد بن محمد بن عمر ، شهاب الدين الخفاجي المصري، الشافعي، قاضي القضاة، العلامة الأديب المفسّر، وصاحب التصانيف النافعة في التفسير والتاريخ والأدب.

ولد ونشأ بمصر، وأخذ العلم والأدب عن علمائها، ثم رحل إلى بلاد الروم، واتصل بالسلطان العثماني، فولاه القضاء في بعض النواحي، ثم تولى قضاء مصر.

اشتهر بمصنفاته العظيمة التي سارت بها الركبان، ومن أشهرها: «نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض» و «عناية القاضي وكفاية الراضي» حاشية على تفسير البيضاوي، و ريحانة الألبا» في التراجم والأدب، وشفاء العليل فيما في كلام العرب من الدخيل» وغيرها.

الطبقة الحادية عشرة: من أعيان علماء الأشاعرة في القرن الثاني عشر.

رغم أن هذا القرن قد شهد انتشاراً ملحوظاً للمدرسة الماتريدية في الاعتقاد؛ وذلك لاعتماد الدولة العثمانية المذهب الحنفي مذهباً رسمياً : الها، إلا أن المدرسة الأشعرية لم تتوقف عن إنجاب أعلام عظماء ، كانوا للأمة منارات هدى في الأصول والفروع، وفيما يأتي ترجمة لبعضهم:

١ - العلامة نور الدين اليُوسي : (١٠٤٠ - ١١٠٢ هـ) .

الحسن بن مسعود بن محمد اليوسي الأشعري المالكي، نور الدين، أبو علي، الإمام العلامة الأصولي الفقيه، شيخ مشايخ المغرب، والملقب بغزالي العصر.

ولد في مراكش، وأخذ عن أعيان علماء المغرب، وتنقل في البلاد إلى أن استقر مدرسا بفاس، واشتهر وعلا صيته، فقصده الناس لينهلوا من علمه.

قال صاحب الاستقصاء: وفي سنة اثنتين ومئة وألف توفي الشيخ الإمام علم الأعلام آخر علماء المغرب على الإطلاق، الذي وقع على عليه وصلاحه الاتفاق.. .

ألف اليوسي - تأليف كثيرة نافعة، موسومة بالتحقيق والتدقيق مثل: «الحاشية على شرح الكبرى للسنوسي (٣)، وكتاب القانون في العلوم» و «البدور اللوامع في شرح جمع الجوامع وغير ذلك.

٢- العلامة محمد بن عبد الباقي الزرقاني (١٠٥٥ - ١١٢٢هـ)).

محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، المصري، الأزهري، المالكي، أبو عبد الله ؛ العلامة الفقيه، خاتمة المحدثين بالديار المصرية، والمعدود من مجددي الملة الإسلامية.

مولده ووفاته بالقاهرة. أخذ عن والده، وعن غيره من أعيان علماء بلده .

له تأليف شهيرة نافعة منها: شرح المواهب اللدنية» و«شرح الموطأ» و«مختصر المقاصد الحسنة".

الطبقة الثانية عشرة: من أعيان علماء الأشاعرة في القرن الثالث عشر.

لم تكن الأوضاع السياسية والاقتصادية والفكرية للعالم الإسلامي في أحسن أحوالها تلك الفترة؛ فقد سادت الاضطرابات والصراعات السياسية مختلف أنحاء البلاد الخاصية لحكم الدولة العثمانية، وتراجع فيها النشاط العلمي، وضعف الإبداع الفكري، ومع ذلك لم تخل البلاد من حامل للواء العقيدة الصحيحة، على منهج أهل السنة والجماعة، وقد اشتهر من الأشاعرة في هذا الزمان كثيرون)، من أهمهم:

١ - العلامة إبراهيم الباجوري (١١٩٨ - ١٢٧٧ هـ) .

إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري، الشافعي، الإمام العلامة المتكلم الفقيه، شيخ الجامع الأزهر.

تعلم - في الأزهر، وأخذ عن كبار علماء . عصره؛ كالعلامة محمد الأمير السنباوي .

قال عنه في حلية البشر: شيخ الوقت والأوان.. العالم العامل، والجهبذ الكامل، الجامع بين شر في العلم والتقوى) .

وللإمام للباجوري مصنفات قيمة، طار ذكرها في الآفاق منها: تحفة المريد على جوهرة التوحيد» و «تحقيق المقام على كفاية العوام» و«حاشية على شرح ابن القاسم لمتن أبي شجاع وغيرها.

٢ - الإمام مُرتَضَى الزبيدي (١١٤٥ - ١٢٠٥ هـ) .

محمد بن محمد الحسيني، الزبيدي، أبو الفيض الملقب بمرتضى؛ إمام في اللغة، والحديث، والرجال.

أصله من العراق، ومنشؤه في زبيد باليمن، ورحل إلى الحجاز، ثم استقر بمصر، فاشتهر فضله، وتهافت عليه الطلبة من كل مكان، وكاتبه الملوك والأمراء.

قال عنه صاحب «عجائب الآثار»: «علم الأعلام، والساحر اللاعب بالأفهام، الذي جاب في اللغة والحديث كل فج، وخاض من العلم كل لج، المذلل له سُبل الكلام.. ذو المعرفة.

والمعروف، وهو بالعلم الموصوف، العمدة الفهامة والرحلة النسابة العلامة، الفقيه المحدث اللغوي النحوي الأصولي .. .

ألف الزبيدي كتباً عظيمة، لا يُعرف لها نظير، منها: «تاج العروس في شرح القاموس و إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين» و«الأصول المنيفة في أدلة مذهب أبي حنيفة وغيرها .

الطبقة الثالثة عشرة: من أعيان علماء الأشاعرة في القرن الرابع عشر:

وهي كبقية الطبقات كثيرة الأعيان، متعددة الأركان ، ولكن اثنان من أعيانها، كان لهما فضل كبير في حفظ عقيدة الأمة من الانحراف والزيغ، وهما:

١ - العلامة مصطفى صبري (١٢٨٦ - ١٣٧٣ هـ).

مصطفى بن أحمد بن محمد صبري التوقادي (١) الحنفي، إمام المتكلمين في العصر الحديث، وحامل لواء أهل السنة والجماعة في وجه الضلال والمضلين.

أصله من توقاد في تركيا، تعلّم في الأناضول على يد كبار علمائها ، ثم عين مدرساً في جامع الفاتح» باستانبول وهو في الثانية والعشرين، وبقي كذلك إلى أن تولى مشيخة الإسلام في الدولة العثمانية.

وعند استيلاء الكماليين على الحكم في تركيا، وقف في وجههم، فاضطر للهجرة من البلاد، فهاجر مع أسرته سنة (١٩٢٢م) إلى مصر، وهناك تفرغ للكتابة والتأليف، فكان لأفكاره ومؤلفاته دور كبير في الوقوف في وجه التغريب والفلسفات الوافدة)، وخط بيراعه كتبا خلدها التاريخ منها : موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين» وموقف البشر تحت سلطان القدر» و «النكيرُ على منكري النعمة في الدين والخلافة والأمة وغيرها.

٣- العلامة محمد زاهد الكوثري (١٢٩٦ - ١٣٧١ هـ).

محمد زاهد بن الحسن بن علي الكوثري الحنفي، العلامة الفقيه، والحافظ الأصولي المتكلم،

ولد ونشأ في (دوزجة) بشرقي القسطنطينية، وتلقى مبادئ العلوم على شيوخها، ثم تفقه في جامع الفاتح ودرس فيه، إلى أن توصل رئاسة مجلس التدريس، ثم وكالة المشيخة الإسلامية، ومعهد التخصص في معرفة أسماء الكتب وموضوعاتها وتراجم مؤلفيها.

اضطهده الاتحاديون خلال الحرب العالمية الأولى؛ لمعارضته خطتهم في إحلال العلوم الحديثة محل العلوم الدينية في أكثر حصص الدراسة، ولما أرادوا اعتقاله فر إلى مصر سنة: (١٣٤١هـ).

تنقل زمنا بين مصر والشام، ثم استقر موظفا في دار المحفوظات، لترجمة ما فيها من الوثائق التركية.

اشتهر الكوثري بتحقيقاته المنيفة، وألف الكثير من الرسائل والكتب التي تصور حالة المواجهة بين التيارات الفكرية المتواجدة على الساحة الإسلامية في ذلك الوقت، فكان . عقبة كؤوداً في وجه المجسمة من جهة، وفي وجه التيارات التغريبية من جهة أخرى...

ومن مصنفاته القيمة: «اللامذهبية قنطرة اللادينية» و«الإشفاق على أحكام الطلاق والاستبصار في التحدث عن الجبر والاختيار».

وبعد هذا الاستعراض الموجز لبعض أعيان أهل السنّة الأشاعرة، وما سبقه من بيان الأهمية علم الكلام وفضله، والأسباب التي أدت إلى ظهوره وانتشاره.. يتبين لكل منصب أن هذا العلم يشكل ضرورة لا بد منها؛ للدفاع عن عقائد أهل الحق وأصول دينهم، وأن الاهتمام به، والحرص على التمكن فيه، كان ولا يزال ديدن علماء أهل السنة والجماعة الذين هم أعيان الأمة وخواصها وجها بذتها ..

وفي الباب الآتي، سيفصل البحث القول في موقف هؤلاء الأعيان من كل من الأدلة النقلية والعقلية، ثم منهجهم في التوفيق بين هذه الأدلة في حال تعارضها، وأخيراً: سيتعرض البحث لأهم وأخطر الشبهات التي أثارها خصوم الأشاعرة قديما وحديثا، حول ذلك الموقف وأسسه.

بسم الله الرحمن الرحيم

الشيعة والرفض في اللغة والاصطلاح

- الشيعة لغة :

شيعة الرجل : أتباعه وأنصاره ، ويقال : شايعه، كما يقال : والاه من الولى ... وتشيع الرجل ؛ أى : ادعى دعوى الشيعة، وتشايع القوم صاروا شيعًا، وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأى بعضهم فهم شيع ، وقوله تعالى: ﴿كَمَا فُعِلَ بأشياعهم من قَبْلُ) [سبأ : ٥٤] أي : بأمثالهم من الأمم الماضية .

وجاء في المصباح المنير»: والشيعة الأتباع والأنصار، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، ثم صارت الشيعة نبزاً - أى : وصفا - جماعة مخصوصة ، والجمع : شيع ، مثل : سدرة وسدر، والأشياع جمع الجمع .

فالشيعة من حيث مدلولها اللغوى تعنى : القوم والصحب والأتباع والأعوان، وقد ورد هذا المعنى في بعض آيات القرآن الكريم كما في قوله تعالى : ﴿ فَوَجَدَ فِيها رجلين يقتلان هذا من شيعته وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِن عدوه ﴾ [القصص : ١٥] وقوله تعالى : وَإِنَّ مِن شيعته لإبراهيم ﴾ [الصافات : ٨٣] فلفظ الشيعة في الأولى تعنى : القوم وفي الثانية : تشير إلى الأتباع الذين يوافقون على الرأى والمنهج، ويشاركون فيهما .

- الشيعة في الاصطلاح :

إن تعريف الشيعة مرتبط أساساً بأطوار نشأتهم، ومراحل التطور العقدي لهم؛ ذلك أن من الملحوظ أن عقائد الشيعة وأفكارها في تغير وتطور مستمر ، فالتشيع في العصر الأول غير التشيع فيما بعده؛ ولهذا كان فى الصدر الأول لا يُسمى شيعيا إلا من قدم عليا على عثمان.

الرافضة في اللغة والاصطلاح :

الرفض في اللغة : هو : الترك، يقال : رفضت الشيء؛ أي: تركته ، فالرفض في اللغة معناه : الترك والتخلى عن الشيء .

الرافضة في الاصطلاح:

هي إحدى الفرق المنتسبة للتشيع لآل البيت، مع البراءة من أبي بكر وعمر وسائر أصحاب النبي له إلا القليل منهم، وتكفيرهم لهم، وسبهم إياهم ، قال الإمام أحمد - رحمه الله - : الرافضة هم الذين يتبرءون من أصحاب محمد رسول الله ، ويسبونهم وينتقصونهم وقال

عبد الله بن أحمد - رحمه الله : سألت أبي عن الرافضة ، فقال : الذين يشتمون أو يسبون أبا بكر وعمر رضى الله عنهما .

وقال أبو القاسم التيمي قوام السنة في تعريفهم : وهم الذين يشتمون أبا بكر وعمر رضى الله عنهما ورضى عن محبيهما .

وقد انفردت الرافضة من بين الفرق المنتسبة للإسلام بمسبة الشيخين أبي بكر وعمر، دون غيرها من الفرق الأخرى، وهذا من عظيم خذلانهم ، قاتلهم الله .

سبب تسميتهم رافضة :

يرى جمهور المحققين أن سبب إطلاق هذه التسمية على الرافضة؛ لرفضهم زيد بن على، و تفرقهم عنه بعد أن كانوا في جيشه حين خروجه على هشام بن عبد الملك في سنة إحدى وعشرين ومائة، وذلك بعد أن أظهروا البراءة من الشيخين فنهاهم عن ذلك

يقول أبو الحسن الأشعرى : وما كان زيد بن على يفضل على بن أبي طالب على سائر أصحاب رسول الله ﷺ ويتولى أبا بكر وعمر ، ويرى الخروج على أئمة الجور، فلما ظهر في الكوفة في أصحابه الذين بايعوه سمع من بعضهم الطعن في أبي بكر وعمر، فأنكر ذلك على من سمعه منه، فتفرق عنه الذين بايعوه فقال لهم : رفضتمونى ، فيقال : إنهم سموا رافضة؛ لقول زيد لهم : رفضتموني، وبهذا القول قال قوام السنة والرازي والشهرستاني ، وابن تيمية رحمهم الله .

وذهب الأشعرى في قول آخر إلى أنهم سموا بالرافضة لرفضهم إمامة الشيخين، قال: وإنما سموا رافضة؛ لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر .

رافضة اليوم :

والرافضة اليوم يغضبون من هذه التسمية ولا يرضونها، ويرون أنها من الألقاب التي ألصقها بهم مخالفوهم، يقول محسن الأمين : الرافضية لقب ينبز به من يقدم عليا كة في الخلافة، وأكثر ما يستعمل للتشفى والانتقام ؛ ولهذا يتسمون اليوم الشيعة، وقد اشتهروا بهذه التسمية عند العامة، وقد تأثر بذلك بعض الكتاب والمثقفين، فنجدهم يطلقون عليهم هذه التسمية، وفي الحقيقة أن الشيعة مصطلح عام يشمل كل من شايع عليا .

وقد ذكر أصحاب الفرق والمقالات أنهم ثلاثة أصناف :

(أ) غالية : وهم الذين غلوا في على وادعوا فيه الإلهية أو النبوة

(ب) ورافضة : وهم الذين يدعون النص على استخلاف على، ويتبرءون من الخلفاء قبله وعامة الصحابة .

(ج) وزيدية : وهم أتباع زيد بن على الذين كانوا يفضلون عليا على سائر الصحابة ويتولون أبا بكر وعمر، فإطلاق الشيعة على الرافضة من غير تقييد لهذا المصطلح غير صحيح؛ لأن هذا المصطلح يدخل فيه الزيدية ، وهم يتولون أبا بكر وعمر رضى الله عنهما ؟ بل إن تسميتهم بالشيعة يوهم التباسهم بالشيعة القدماء الذين كانوا في عهد على عمالقة ومن بعدهم، فإن هؤلاء مجمعون على تفضيل الشيخين على على ة ، وإنما يرون تفضيل على على عثمان، وهؤلاء كان فيهم كثير من أهل العلم، ومن هو منسوب إلى الخير والفضل.

نشأة الشيعة الرافضة وبيان دور اليهود في نشأتهم

أول من دعا إلى أصول عقائد الشيعة الرافضة التي انبنت عليها عقائدهم الأخرى رجل يهودى اسمه (عبد الله بن سبأ) من يهود اليمن، أسلم في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان ، وأخذ يتنقل بين أمصار المسلمين للدعوة لهذا المعتقد الفاسد، وهذا نص ما ذكره الطبرى في تاريخه» قال : كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء، أمه سوداء، فأسلم زمان عثمان، ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم، فبدأ بالحجاز، ثم البصرة، ثم الكوفة، ثم الشام، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتى أتى مصر فاعتمر فيهم، فقال لهم فيما يقول : العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن محمداً يرجع وقد قال الله : ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُكَ إلى معاد) [القصص : ٨٥] فمحمد أحق بالرجوع من عيسى .

قال : فقبل ذلك عنه، ووضع لهم ا الرجعة فتكلموا فيها ، ثم قال لهم بعد ذلك : إنه كان ألف نبي ولكل نبي نبي وصى، وكان على وصى محمد، ثم قال : خاتم الأنبياء، وعلى خاتم الأوصياء ، ثم قال لهم بعد ذلك : من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ﷺ ، ووثب على وصى رسول الله ﷺ وتناول أمر الأمة، ثم قال لهم بعد ذلك : إن عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصى رسول الله ﷺ ، فانهضوا في هذا الأمر فحركوه، وابدءوا الطعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس، وادعوهم إلى هذا الأمر، فبث دعاته، وكاتب من كان استفسده في الأمصار وكاتبوه، ودعوه في السر إلى ما عليه رأيهم في محمد.

وهكذا كانت بداية الرفض، وما زالت تلك العقائد التي دعا إليها ابن سبأ تسير في نفوس أناس من أهل الزيغ والضلال، وتتشربها قلوبهم وعقولهم حتى كان من ثمارها مقتل الخليفة الراشد ذي النورين عثمان بن عفان ، على يد هذه الشرذمة الفاسدة، حتى إذا ما جاء عهد على بن أبي طالب بدأت تلك العقائد تظهر إلى الوجود أكثر من ذي قبل، إلى أن بلغت عليا ، فأنكرها أشد ما يكون الإنكار، وتبرأ منها ومن أهلها

قال ابن تيمية - رحمه الله - : ولما أحدثت البدع الشيعة في خلافة أمير المؤمنين على بن أبي طالب ، ردها ، وكانت ثلاث طوائف : (غالية، وسبابة، ومفضلة).

فأما الغالية : فإنه حرقهم بالنار ، فإنه خرج ذات يوم من باب كندة فسجد له أقوام، فقال : ما هذا؟ فقالوا : أنت هو الله، فاستنابهم ثلاثة فلم يرجعوا ، فأمر في الثالث بأخاديد، وأضرم فيها النار، ثم قذفهم فيها .

وأما السبابة : فإنه لما بلغه من سب أبا بكر وعمر طلب قتله، فهرب منه إلى قرقيسيا وكلم فيه، وكان على يدارى أمراءه ؛ لأنه لم يكن متمكناً، ولم يكونوا يطيعونه في كل ما يأمرهم به .

وأما المفضلة : فقال : لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفترين، فقال : وروى عنه من أكثر من ثمانين وجهاً أنه قال : خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر .

وعلى كل حال فعقائد الرافضة مع ظهورها في عهد على كونه ، قد بقيت محصورة في أفراد لا تمثلها طائفة أو فرقة ، حتى انقضى عهد على وهي على تلك الحال

وقد أفرد الدكتور سعدى الهاشمى عقيدة ابن سبأ والبدع التي نادي بها في رسالته: «ابن سبأ حقيقة لا خيال، وذكرها في كتابه : الرواة الذين تأثروا بابن سبأ .

وأهم البدع والنحرفات التي نادى بها ابن سبأ :

القول بالوصية، وهو أول من قال بوصية رسول الله لعلي بن أبي طالب، وأنه خليفته على أنه من بعده بالنص، وأول من أظهر البراءة من أعداء علي بزعمه، وكاشف مخالفيه، وحكم بكفرهم، وأول من قال بإلهية علي وربوبيته، وكان أول من ادعى النبوة من فرق الشيعة الغلاة، وكان أول من أحدث القول برجعة علي إلى الدنيا بعد موته، وبرجعة رسول الله ﷺ ، وأول من ادعى أن عليا هو دابة الأرض، وأنه هو الذي خلق الخلق وبسط الرزق .

وقالت السبئية: إنهم لا يموتون، وإنما يطيرون بعد مماتهم، وسموا بالطيارة، وقال قوم منهم - السيئة - بانتقال روح القدس فى الأئمة، وقالوا بتناسخ الأرواح، وقال السبئية : هدينا لوحي ضل عنه الناس، وعلم خفى عنهم، وقالوا: إن عليا فى السحاب، وإن الرعد

صوته، والبرق سوطه ، هذه أبرز البدع التي كان يعتقد بها ابن سبأ وأتباعه، وصاروا بها من الغلاة .

إن فرق الشيعة الرافضة كفِكروعقيدة لم تولد فجأة؛ بل إنها أخذت طوراً زمنيا، ومرت بمراحل ؛ ولكن طلائع العقيدة الشيعية الرافضية وأصل أصولها ظهرت على يد السبئية باعتراف كتب الشيعة التي قالت بأن ابن سبأ أول من شهد بالقول بفرض إمامة على، وأن عليا وصى محمد - كما مر - وهذه عقيدة النص على على بالإمامة، وهي أساس التشيع الرافضي - كما يراه شيوخ الشيعة الروافض - ومن ذلك ما جاء فى الكافى عن أبي الحسن قال : ولاية على مكتوبة في جميع صحف الأنبياء، ولم يبعث الله رسولاً إلا بنبوة محمد ووصية علي

و شهدت كتب الشيعة الروافض - كما ذكر في المصادر العلمية - بأن ابن سبأ وجماعته هم أول من أظهر الطعن في أبي بكر وعمر وعثمان أصهار رسول الله ﷺ وأرحامه وخلفائه، وأقرب الناس إليه - رضى الله عنهم - والطعن في الصحابة الآخرين، وهذه عقيدة الشيعة الروافض في الصحابة، كما هي في كتبهم المعتمدة، كما أن ابن سبأ قال برجعة على، والرجعة من أصول الشيعة الروافض - كما سيأتى بإذن الله - كما أن ابن سبأ قال بتخصيص على وأهل البيت بعلوم سرية خاصة، كما أشار إلى ذلك الحسن بن محمد ابن الحنيفة في رسالة الإرجاء» وهذه المسألة أصبحت من أصول الاعتقاد عند الشيعة .

وقد ثبت في صحيح البخاري، ما يدل على أن هذه العقيدة ظهر في وقت مبكر، وأن عليا سئل عنها ، وقيل له : هل عندكم شيء مما ليس في القرآن، أو مما ليس عند الناس؟ فنفى ذلك نفيا قاطعا .

هذه من أهم الأصول التي تدين بها الشيعة الرافضة ، وقد وجدت إثر مقتل عثمان ، وفي عهد على مة ، ولم تأخذ مكانها في نفوس فرقة معينة معروفة ؛ بل إن السبئية ما كادت تطل برأسها حتى حاربها على ، كما مر معنا ولكن ما تلا ذلك من أحداث هيا جوا صالحاً لظهور هذه العقائد وتمثلها في جماعة ؛ كمعركة صفين، وحادثة التحكيم التي أعقبتها، ومقتل على، ومقتل الحسن.

كل هذه الأحداث دفعت القلوب والعواطف إلى التشيع لآل البيت، فتسلل الفكر الوافد من نافذة التشيع لعلى وآل بيته، وصار التشيع وسيلة لكل من أراد هدم الإسلام من ملحد ومنافق وطاغوت، ودخلت إلى المسلمين أفكار ومعتقدات أجنبية اكتست بثوب التشيع، وتيسر دخلوها تحت غطائه، وبمرور الأيام كانت تتسع البدعة ويتعاظم خطرها؛ حيث وجد لابن سبأ خلفاء كثيرون، ولم يكن استعمال لقب الشيعة في عهد على ة ، إلا بمعنى المولاة والنصر ، ولا يعنى بحال الإيمان بعقيدة من عقائد الشيعة الرافضة اليوم.

إن التشيع لآل البيت وحبهم أمر طبيعي، وهو حب لا يفرق بين الآل، ولا يغلو فيهم، ولا ينتقص أحداً من الصحابة كما تفعل الفرق المنتسبة للتشيع، وقد نما الحب وزاد للآل بعدما جرى عليهم من المحن والآلام، بدءاً من مقتل على ثم الحسين ... إلخ، هذه الأحداث فجرت عواطف المسلمين، فدخل الحاقدون من هذا الباب ؛ ذلك أن آراء ابن سبأ لم تجد الجو الملائم لتنمو وتنتشر إلا بعد تلك الأحداث.

وعصمة الأئمة لكن التشيع بمعنى عقيدة النص على إمامة على ، والرجعة، والبداء، والغيبة إلخ، فلا شك أنها عقائد ما أنزل الله بها من سلطان، ودخيلة على المسلمين ترجع أصولها لعناصر مختلفة؛ ذلك أنه قد ركب مطبة التشيع كل من أراد الكيد للإسلام وأهله، وكل من احتال ليعيش في ظل عقيدته السابقة باسم الإسلام، من يهودي و نصراني ، ومجوسى، وغيرهم، فدخل في التشيع كثر من العقائد الفاسدة .

كما سيتبين ذلك عند دراسة أصول عقائدهم ؛ ولهذا ذهب ابن تيمية - رحمه الله - إلى أن المنتسبين للتشيع قد أخذوا من مذاهب الفرس والروم، واليونان، والنصارى، واليهود وغيرهم أموراً مزجوها بالتشيع، ويقول: وهذا تصديق لما أخبر به النبي الله ، وساق بعض الأحاديث الواردة في أن هذه الأمة ستركب سنن من قبلها وقال بأن هذا بعينه صار في المنتسبين للتشيع .

المراحل التي مرت بها الشيعة الرافضة

مرت الشيعة الرافضة فى نشأتها بعدة مراحل، حتى أصبحت فرقة مستقلة متميزة بعقيدتها واسمها عن سائر فرق الأمة.

ويمكن إبراز ذلك من خلال أربع مراحل رئيسية :

١- المرحلة الأولى :

دعوة عبد الله بن سبأ إلى ما دعا إليه من الأصول التي انبنت عليها عقيدة الرافضة ؛ كدعوته لعقيدة الرجعة، وإحداثه القول بالوصية لعلي، والطعن في الخلفاء السابقين لعلى في الخلافة، وقد ساعد ابن سبأ في ترويج فكره الضال البعيد عن روح الإسلام أمران :

(أ) اختيار ابن سبأ البيئة المناسبة لدعوته؛ حيث بث دعوته في بلدان مصر، والعراق، بعد أن أكثر التنقل بين هذه الأمصار ، كما مر فى كلام الطبرى ، فنشأت هذه الدعوة في مجتمعات لم تتمكن من فهم الإسلام الفهم الصحيح، وتترسخ أقدامها في العلم الشرعي والفقه بدين الله تعالى ؛ وذلك لقرب عهدها بالإسلام، فإن تلك الأمصار إنما فتحت في

عهد ، هذا بالإضافة إلى بعدها عن مجتمع الصحابة فى الحجاز، وعدم التفقه والتتلمذ عمر والتربية على أيديهم .

(ب) إن ابن سبأ مع اختياره لدعوته تلك المجتمعات، فإنه زيادة في المكر والخديعة أحاط دعوته بستار من التكتم والسرية، فلم تكن دعوته موجهة لكل أحد، وإنما لمن علم أنهم أهل لقبولها من جهلة الناس، وأصحاب الأغراض الخبيئة ممن لم يدخلوا في الإسلام إلا كيدا لأهله بعد أن فوضت جيوش الإسلام عروش ملوكهم، ومزقت ممالكهم، وقد تقدم كلام الطبرى السابق عن ابن سبأ : فيث دعاته، وكاتب من كان استفسده في الأمصار، وكاتبوه، ودعوافي السر إلى ما عليه رأيهم ، يقول في سياق وصفهم : وأوسعوا في الأرض إذاعة، وهم يريدون غير ما يظهرون .

٢- المرحلة الثانية :

إظهار هذا المعتقد والتصريح به، وذلك بعد مقتل عثمان بن عفان ، وانشغال الصحابة رضوان الله عليهم بإخماد الفتنة التي حصلت بمقتله، فوجد هؤلاء الضلال متنفساً في تلك الظروف، وقويت تلك العقائد الفاسدة في نفوسهم، إلا أنه مع كل ذلك بقيت هذه العقائد محصورة في طائفة مخصوصة ممن أصلهم ابن سبأ، وليست لهم شوكة ولا كلمة مسموعة عند أحد سوى من ابتلى بمصيبتهم في مقتل عثمان ، وشاركهم في دمه من الخوارج المارقين .

ومما يدل على ذلك ما نقله الطبرى : وتكلم ابن السوداء فقال : يا قوم إن عزكم في خلطة الناس فصانعوهم ، وهذا القول لا يقوله صاحب شوكة ومنعة، ومع هذا فإنه لا ينكر دور هؤلاء السبئية وقتلة عثمان في إشعال نار الحرب بين الصحابة؛ بل ذلك مقرر عند أهل التحقيق للفتنة وأحداثها ، يقول ابن حزم مقرراً ذلك : وبرهان ذلك أنهم اجتمعوا ولم يقتتلوا ولا تحاربوا، فلما كان الليل عرف قتلة عثمان الإراعة والتدبير عليهم ، فبيتوا عسكر طلحة والزبير، وبذلوا السيوف فيهم، فدفع القوم عن أنفسهم .

- المرحلة الثالثة :

اشتداد أمرهم وقوتهم واجتماعهم تحت قيادة واحدة، وذلك بعد مقتل الحسين وللأخذ بثأر الحسين والانتقام له من أعدائه.

يقول الطبرى فى حوادث سنة أربع وستين للهجرة : وفي هذه السنة تحركت الشيعة بالكوفة، وأعدوا الاجتماع بالنخيلة سنة خمس وستين للمسير لأهل الشام للطلب بدم الحسين بن على، وتكاتبوا في ذلك .

وكان مبدأ أمرهم ما ذكره الطبرى من رواية عبد الله بن عوف بن الأحمر الأزدى أنه قال : لما قتل الحسين بن على ورجع ابن زياد من معسكره بالنخيلة، فدخل الكوفة، تلاقت الشيعة بالتلاوم والتندم، ورأت أنها قد أخطأت خطأ كبيراً بدعائهم الحسين إلى النصرة وتركهم إجابته، وقتله إلى جانبهم دون أن ينصروه، ورأوا أنه لا يُغسل عارهم والإثم عنهم في مقتله إلا بقتل من قتله، أو القتل فيه، ففزعوا بالكوفة إلى خمسة نفر من رءوس الشيعة؛ إلى سليمان بن صرد الخزاعي، وكانت له صحبة مع النبي الله ، وإلى المسيب بن نجبة الفزاري، وكان من أصحاب على وخيارهم وإلى عبد الله بن سعد بن نفيل الأزدى، وإلى عبد الله بن وائل التيمي، وإلى رفاعة بن شداد البجلي .

ثم إن هؤلاء النفر الخمسة اجتمعوا في منزل سليمان بن صرد، وكانوا من خيار أصحاب على، ومعهم أناس من الشيعة وخيارهم ووجوههم ، وكان هذا الاجتماع عاماً يشمل كافة الشيعة، وقد اجتمع إلى سليمان بن صرد نحو من سبعة عشر ألفا، ثم لم تعجب سليمان قلتهم، فأرسل حكيم بن منقذ فنادى فى الكوفة، وخرج الناس معهم فكانوا قريبا من عشرين الفا ، ثم إنه في هذه الأثناء قدم المختار بن أبي عبيد الثقفى إلى الكوفة، فوجد الشيعة التفت على سليمان بن صرد وعظموه تعظيماً زائداً، وهم معدون للحرب .

فلما استقر المختار عندهم بالكوفة دعا إلى إمامة المهدى محمد بن على بن أبي طالب، وهو محمد ابن الحنفية، ولقبه بالمهدى فاتبعه على ذلك كثير من الشيعة، وفارقوا سليمان بن صرد وصارت الشيعة فرقتين؛ الجمهور منهم مع سليمان يريدون الخروج على الناس؛ ليأخذوا بثأر الحسين، وفرقة أخرى مع المختار يريدون الخروج للدعوة إلى إمامة محمد ابن الحنفية، وذلك عن غير أمر ابن الحنفية، وإنما يتقولون عليه؛ ليروجوا على الناس به، وليتوصلوا إلى أغراضهم الفاسدة .

فكان هذا بداية اجتماع الشيعة، ثم يذكر المؤرخون خروج سليمان بن صرد بمن كان معه من الشيعة إلى الشام، فالتقوا مع أهل الشام عند عين تسمى عين الوردة، واقتلوا قتالاً عظيماً لمدة ثلاثة أيام .

يقول ابن كثير - رحمه الله - : لم ير الشيب والمرد مثله ، لا يحجز بينهم إلا أوقات الصلوات إلى الليل ، ثم انتهى القتال بينهم بقتل سليمان بن صرد - رحمه الله - وكثير من أصحابه، وهزيمتهم، وعودة من بقى من أصحابه إلى الكوفة ، وأما المختار بن أبي عبيد الثقفى فلما رجع من بقى من جيش سليمان إلى الكوفة، وأخبروه بما كان من أمرهم وما حل بهم، فترحم على سليمان ومن كان قتل معه ، وقال : وبعد، فأنا الأمير المأمون، قاتل

الجبارين والمفسدين إن شاء الله، فأعدوا واستعدوا وأبشروا. يقول ابن كثير - رحمه الله - : وقد كان قبل قدومهم أخبر الناس بهلاكهم عن وحيه الذي كان يأتي إليه من الشيطان، فإنه قد كان يأتي شيطانًا فيوحى إليه قريبا مما كان يوحى شيطان مسيلمة له، ثم إن المختار بعث الأمر إلى النواحي والبلدان، والرساتيق من أرض العراق، وخراسان، وعقد الألوية والرايات ... ثم شرع المختار بتتبع قتلة الحسين من شريف ووضيع فيقتله .

- المرحلة الرابعة :

انشقاق الشيعة الرافضة عن الزيدية وباقي فرق الشيعة، وتميزها بمسماها وعقيدتها ، وكان ذلك على وجه التحديد في سنة إحدى وعشرين ومائة، عندما خرج زيد بن على بن الحسين على هشام بن عبد الملك ، فأظهر بعض من كان في جيشه من الشيعة الطعن على أبي بكر وعمر فمنعهم من ذلك، وأنكر عليهم فرفضوه ؛ فسموا بالرافضة ، وسميت الطائفة الباقية معه بالزيدية .

يقول ابن تيميه - رحمه الله - : إن أول ما عُرف لفظ الرافضة في الإسلام عند خروج زيد بن على في أوائل المائة الثانية، فسئل عن أبي بكر وعمر - رضى الله عنهما - فتولاهما ، فرفضه قوم قسموا رافضة ، وقال : ومن زمن خروج زيد افترقت الشيعة إلى رافضة وزيدية، فإنه لما سئل عن أبي بكر وعمر فترحم عليهما رفضه قوم، فقال لهم رفضتمونى، فسموا رافضة؛ لرفضهم إياه، وسمى من لم يرفضه من الشيعة زيديا ؛ لانتسابهم إليه ، ومنذ ذلك التاريخ تميزت الرافضة عن باقي فرق الشيعة، فأصبحت فرقة مستقلة باسمها ومعتقدها ، والله تعالى أعلم.

هذا ، وقد تحدث علماء الفرق عن الفرق المنسوبة للشيعة، فذكروا منها :

(السبئية، والغرابية والبيانية، والمغيرية، والهاشمية، والخطابية، والعلبائية، والكيسانية والزيدية الجارودية، والسليمانية، والصالحية، والبترية) ، وبعض هذه الفرق غالت غلواً عظيماً، والبعض الآخر أقل غلواً، ومن أراد الاستزادة فليراجع مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعرى، والملل والنحل للشهرستاني، والفرق بين الفرق لأبي الظاهر البغدادي، وفرق معاصرة للدكتور غالب بن على عواجي، وهو من أفضل من اطلعت عليه من المعاصرين .

من اهم عقائد الشيعة الرافضة : الإمامة

١. ويعتقد الشيعة الاثنا عشرية أن الرسول قد نص على الأئمة من بعده وعينهم بأسمائهم، وهم اثنا عشر إماماً لا ينقصون ولا يزيدون وهم :
٢. على بن أبي طالب ، المرتضى (ت ٤٠ هـ) .
٣. الحسن بن على ، الزكي (ت ٥٠هـ).
٤. الحسين بن على ، سيد الشهداء (ت ٦١ هـ).
٥. على بن الحسين زين العابدين (ت ٩٥هـ).
٦. محمد بن على الباقر (ت ١١٤ هـ) .
٧. جعفر بن محمد الصادق (ت ١٤٨هـ) .
٨. موسى بن جعفر الكاظم (ت ١٨٣ هـ).
٩. على بن موسى الرضا (ت ٢٠٣ هـ).
١٠. محمد بن على الجواد (ت ٢٢٠ هـ).
١١. على بن محمد الهادي (ت ٢٥٤هـ) .
١٢. الحسن بن على العسكري (ت ٢٥٦هـ).
محمد بن الحسن المهدى (ت ٢٦٠هـ) .

كان ابن سبأ ينتهى بأمر الوصية عند علي، ولكن جاء فيمن بعد من عممها في مجموعة من أولاده، وكانت الخلايا الشيعية تعمل بصمت وسرية، ومع ذلك فقد تصل بعض هذه الدعاوى إلى بعض أهل البيت، فينفون ذلك نفيا قاطعاً، كما فعل جدهم أمير المؤمنين على؛ ولذلك اخترع أولئك الكذابون على أهل البيت عقيدة التقية؛ حتى يسهل نشر

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ٢٧-٥-٢٠٢٤